من صور الإعجاز العلمي للسواك في السنة النبوية

د. عبد الله بن محمد بن منصور آل الشيخ
جامعة بيشة – كلية العلوم والآداب بالنماص

المقدمة

الحمد لله الذي لم يزل بعباده خبيراً بصيراً، الذي له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدر تقديراً، أحمده على إحسانه وأشكره اعترافاً بفضله وتعظيماً لشأنه، فما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها، أحصى كل شيء عدداً، ووسع كل شيء رحمة وعلماً، خلق فسوى وقدر فهدى وهو الحكيم الخبير.

وأشهد أن محمدً عبده ورسوله، صاحب المقام المحمود والحوض المورود، الهادي البشير والسراج المنير، صلى الله وسلم عليه ما تهاطلت الأمطار، وما تعاقب الليل والنهار، وعلى آله وأصحابه الأطهار ومن سار على نهجهم واهتدى بهديهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن من العلوم المهمة المستجدة علم (الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة النبوية)، ويهدف هذا النوع من العلم، لإظهار العديد من الاكتشافات العلمية من خلال الإشارات لذلك في الكتاب والسنة، كما أن هذا النوع من العلم يُظهر عظم هذه الشريعة؛ وصدق ما أخبر به رسولنا محمدٌ صلى الله عليه وسلم لا سيما لغير المسلمين الذين ليس لديهم معرفة بهذا الدين، {لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا} المدثر (آية/31)، ويقوى يقين من ضعف إيمانه، كل ذلك مصداق قوله تعالى{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ}فصلت (آية/53)، ولأهمية هذا النوع في بيان حكمة التشريع وإظهار أوجه وصور الإعجاز في نصوص الوحيين، ولما له من نفعٍ عظيم في جانب الدعوة إلى الله لاسيما لغير المسلمين، مع ما يقترن به من متعة وفائدة، كان من اللازم أن يعمل على خدمته المتخصصون في أقسام الكتاب والسنة، **وذلك لأسباب منها:**

1- أن أكثر من يكتب في هذا العلم هم من المتخصصين في العلوم الطبية والكونية والعلمية التطبيقية، ولديهم ثقافة دينية ليست بمستوى معرفة المتخصص في علوم القرآن والسنة، **ولذلك يحصل لدى بعضٍ منهم الخطأ والخلط عند إثبات صورة من صور الإعجاز** بناء على دلالة أو إشارة إليها في الكتاب والسنة، فكانت الحاجة داعية لأن يتناول أهل الاختصاص الشرعي هذا النوع من البحوث، ويضعون الأشياء في ميزانها الصحيح، **فالمادة العلمية العملية التي تصلح لخدمة علم الإعجاز العلمي** في الغالب متوافرة في سائر الجوانب العلمية التطبيقية تقريباً، ويبقى على المتخصص النظر في صحة الإلحاق، ومراعاة ضوابط ذلك، بعيداً عن الحدس والظنون، والتكلف المذموم، ولوي الآيات والأحاديث لتوافق ما توصل له العلم الحديث، قولاً على الله بغير علم، وقد قال الله تعالى:{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا} هود (آية 18).

٢- هناك دلائل وإشارات في الكتاب والسنة دقيقة، تعتمد أحياناً على اللفظ الظاهر، وفي أحيان أخرى ترجع للمعنى الذي يفهمه المتخصص من تفسير الآية، **يمكن استنباطها واستخراجها، وتقديمها للباحثين والمتخصصين في العلوم المتنوعة لعمل الدراسة عليها والوصول لاكتشافات علمية نافعة**، وهذا يحتاج لباحث شرعي متذوق له اطلاع على البحوث العلمية في الإعجاز، ولديه قدرة شرعية على الاستنباط والتتبع لهذي الإشارات الإعجازية في الكتاب والسنة.

وقد وقع اختياري على موضوع مهم في نظري، وهو: **"صور الإعجاز العلمي للسوك في السنة النبوية"**، دعاني لخوض غماره أنني قرأت في أحد الكتب مقالاً نقله أحد الكتاب الفضلاء عن أحد المؤتمرات الطبية العالمية لطب الأسنان، والتي عقدت في دولة السويد ***وقرر المؤتمرون في نهايته أن الحل الأمثل لتنظيف الأسنان والذي ليس له أي نوع من المضاعفات ولا يتسبب في نقل المكروبات هو استعمال المسواك الطبيعي، وأنه يتفوق على الفرشاة التي لا تسلم من سلبيات ومضاعفات أخرى، تأثر على اللثة أو الأسنان.***

وحكيت ذلك لأحد أطباء الأسنان فقلل من أهمية ما قلت بكثير وقام بسرد الميزات التي تختص بها الفرشاة والمعجون على السواك وقال لي: ما دعاك لهذا الكلام إلا لتعظيمك لشأن السواك لأنه جاء في السنة، أما من ناحية أفضليته علمياً فلا يستقيم لك ذلك، ومضت الأيام وأصبحت ***كل ما مررت على أحاديث السواك أتعجب لكثرتها حتى عدها بعض العلماء من المتواتر المعنوي، وكيف أن علماء الحديث عقدوا للسواك باباً مستقلاً في كتبهم، وكيف أن النبي صلى الله عليه وسلم كاد أن يوجبه خمس مرات في اليوم والليلة لولا خشية المشقة على أمته***(1)، ثم إنه صلى الله عليه وسلم قال: (أكثرت عليكم في السواك)(2)، ثم بدأت أتأمل الصور الإعجازية في هذه الأحاديث الكثيرة، فأردت أن أشفي غليلي بالنظر في ذلك، وأطلع على ما قرره الطب الحديث في شأن السواك، وما الذي توصلت إليه الأبحاث العلمية في ذلك، وبعد النظر في تلك الأبحاث لأطباء مسلمين ولكفرة ملحدين، أدت في منتهاها إلى تفضيلهم للسواك على غيره، رأيت ما يثير العجب!! وتذكرت قوله الله تعالى: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ}فصلت (آية/٥٣)، وأيقنت أن إحكام ذلك كله من لدن حكيم خبير؛ لذا اخترت هذا الموضوع، وأحببت دراسته، لاسيما وأنه يرغّب الناس ويدعوهم للمحافظة والاهتمام بهذه السنة، التي في العمل بها أجرٌ إذا قصد العبد بفعلها متابعة النبي صلى الله عليه وسلم، ولما يترتب على المحافظة عليها من حفظ الأسنان الذي يدخل **تحت نوع الطب الوقائي**.

---

(١) سيأتي تخريجها في ص٨٧.

(٢) رواه البخاري في صحيحه(٣٠٣/١، رقم٨٤٨) في الجمعة باب: السواك يوم الجمعة، وانظر معرفة النساك في أحكام السواك وحاشيته (ص٦٢)، تحقيق الدكتور مصطفى ديب البُغا - دار ابن كثير - ط الخامسة - ١٤١٤هـ.

الدراسات السابقة:

لا يوجد حسب تفتيشي وتتبعي بحث مستقل يتناول -وفق الطريقة التي سنتناولها- قضايا السواك في السنة والإعجاز العلمي، حتى موقع الهيئة العالمية للأعجاز العلمي لم يذكر في بحوثه ومطبوعاته بحثاً يتعلق بالسواك، بل هناك بحوث تتناول جزئيات حول السواك، أو نتائج أبحاث حول السواك من الناحية العلمية، وهذا يشجع الباحث أن يمضي قدماً في البحث في هذا الموضوع الثري.

وقد أعددت لذلك الخطة التالية: وهي تتكون من مقدمة وفصلين وخاتمة:

فالمقدمة تحوي:

- أهمية الموضوع، وأسباب اختياره.
- خطة البحث.
- منهج البحث.

أما الفصل الأول: فيتناول تعريف الإعجاز العلمي في السنة، مع ذكر تعريف السواك وحكمه لدى الفقهاء، والأحاديث الواردة في فضله، **وفيه أربعة مباحث:**

المبحث الأول: تعريف الإعجاز العلمي في السنة النبوية.

المبحث الثاني: ضوابط الإعجاز العلمي في السنة.

المبحث الثالث: تعريف السواك وحكمه لدى الفقهاء.

المبحث الرابع: الأحاديث الواردة في فضل السواك في السنة.

الفصل الثاني: الإعجاز في السنة النبوية، وربطه بالبحث العلمي، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الإشارات الإعجازية للسواك في السنة النبوية.

المبحث الثاني: بعض فوائد السواك الطبية التي ذكرها الفقهاء.

المبحث الثالث: السواك في السنة، وصور الإعجاز فيه من خلال البحث العلمي، **وفيه أربعة مطالب:**

المطلب الأول: الصورة الأولى من صور الإعجاز، في خصوصية شجرة الأراك في السواك على غيرها.

المطلب الثاني: الصورة الثانية من صور الإعجاز، في الحث والتأكيد على تكرار السواك معظم اليوم.

المطلب الثالث: الصورة الثالثة من صور الإعجاز، في اهتمامه صلى الله عليه وسلم بتسويك اللسان

المطلب الربع: الصورة الرابعة من صور الإعجاز، في سنية غسل السواك، أو تطييبه باللعاب.

الخاتمة والتوصيات: وتحوي أهم النتائج، والمقترحات.

منهج البحث:

١- اعتمدت في كتابة البحث على الطريقة المسلوكة التي ينبغي مراعاتها في أغلب البحوث الأكاديمية، فيما يتعلق بالكتابة والحواشي وعلامات الترقيم ونحوها.

٢- حاولت جاهداً في هذا الباب الاكتفاء بالأحاديث الصحيحة التي تخدم الموضوع، دون الضعيفة، إلا في النادر مع تبين وجه الضعف.
٣- إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما فإني أكتفي بذلك في العزو ولا أتوسع، لا سيما عند عدم الحاجة.
٤- إذا كان الحديث في خارجهما، فإني أخرجه بالقدر الذي يكفي لبيان ضعفه أو صحته، وأذكر قول من صححه أو ضعفه من الأئمة، وأذكر رأيي إذا احتاج الأمر.
٥- أبدأ عند الكلام على صور الإعجاز بذكر الأحاديث التي تدل على الإعجاز، وذلك بعد الاطلاع على كلام شراح الحديث عليها.
٦- ثم أذكر صور الإعجاز من خلال الكشوف العلمية الحديثة في السواك.
٧- حاولت ضبط العبارة عند تقرير أي صورة من صور الإعجاز وإثبات دخول هذه الصورة في المعنى الذي دل عليه الحديث بما يناسب، من غير شطط إن شاء الله، حتى لا نحمل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا يحتمله.
٨- حاولت لفت نظر المتخصصين في البحث العلمي التطبيقي على إشارات نبوية لمسائل إعجازية، ربما تفتح باب الاكتشاف العلمي، ومزيد من البحث الذي قد يوصل إلى نتائج بحثية سديدة، تصب في رصيد الإعجاز العلمي للسنة النبوية.

ووفي الختام أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقّت إلى ما أصبو إليه من هذا البحث وصلى الله وسلم على محمد.

الفصل الأول

يتناول تعريف الإعجاز في السنة و تعريف السواك وحكمه لدى الفقهاء، والأحاديث الواردة في فضله، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الإعجاز في السنة النبوية.

المبحث الثاني: ضوابط الإعجاز العلمي في السنة.

المبحث الثالث: تعريف السواك وحكمه لدى الفقهاء.

المبحث الرابع: الأحاديث الواردة في فضل السواك في السنة.

المبحث الأول
تعريف الإعجاز في السنة النبوية

"نجد في كتب اللغة واللسان العربي معنى العجز يدور حول (الضعف)، ويقولون إن أصله في لغة العرب: التأخر عن الشيء والقصور عن فعله، فهو ضد القدرة، وأعجزت فلاناً، وعجزته وعاجزته: جعلته عاجزاً، وجاء في القران الكريم {وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ}سورة الأنعام (آية ١٣٤)...ومصدر عجز: الإعجاز، ومنه اشتقت كلمة (معجزة) وهي اسم الفاعل منه لحقته التاء للمبالغة"[(١)].

"والمعجزة: هي اسم فاعل من العجز المقابل للقدرة، وفي القاموس: معجزة النبي: ما أعجز به الخصم عند التحدي، والهاء فيها للمبالغة، **وهي أمر خارق للعادة يجريه الله على يد من يختاره لنبوته ليدل على صدقه وصحة رسالته...**"[(٢)].

"ولم تكن كلمة (إعجاز) ولا (معجزة) شائعة في الاستعمال، وإنما جاء في القران الكريم اسم: الآية (بمعنى العلامة المبينة على صدق الرسول دافعة إلى الإيمان بالله أكثر من ثمانين مرة في القرآن الكريم)... **وقد بدأ استعمال المعجزة في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث في كتب العلماء الذين ألفوا في بيان الإعجاز في القرآن الكريم**، فاستعملوا كلمة الإعجاز ومن ثمة المعجزة، هذا بالنسبة للقرآن الكريم، وأما خوارق العادة التي جاءت في السنة النبوية، فقد أطلق عليها علماء السنة (علامات النبوة)...لأن هذه الخوارق تدل دلالة واضحة على أن القادر على خرق العادة المستقرة هو خالقها فلا بد أن تكون هذه الخوارق من الله تعالى، مصدقاً لرسوله صلى الله عليه وسلم فيما يدعيه من النبوة فكانت علامات ودلائل على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم..."[(٣)].

ودلائل النبوة مسمىً عام يدخل تحته أنواع، **فقد عرف علماؤنا دلائل النبوة فقالوا**: "هي الأدلة التي تُعرف بها نبوة النبي الصادق، ويعرف بها كذب المدعي للنبوة من المتنبئين الكذبة؛ لأن هذا موضوع هامٌ جداً، ودلائل النبوة كثيرة ومتنوعة... ليست محصورة في المعجزة كما يقوله المتكلمون!...

فمنها أيضاً: إخبارهم الأمم بما سيكون من انتصارهم وخذلان أعدائهم، وبقاء العاقبة لهم، فوقع كما أخبروا، ولم يتخلف منه شيء...**ومنها أن ما جاؤوا به من الشرائع والأخبار في**

---

(١) انظر القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ص ٦٦٣-٦٦٤)، مادة (عجز)، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ثانية – ١٤٠٧هـ، وانظر الإعجاز العلمي في السنة النبوية للدكتور صالح الرضا (١٨/١)،مكتبة العبيكان - ط أولى، ١٤٢١.

(٢) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة الشيخ صالح الفوزان (ص٢٠٥)،دار ابن خزيمة - ط ثانية- ١٤١٧، وانظر الإعجاز العلمي في السنة (١٨/١).

(٣) الإعجاز العلمي في السنة (١٩/١)، وانظر الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة تاريخه وضوابطه للدكتور عبدالله المصلح ص١٥، هيئة الإعجاز العلمي، دار جياد، ط ثالثة، ١٤٣٢هـ.

غاية الإحكام والإتقان وكشف الحقائق وهدي الخلق مما يعلم بالضرورة أن مثله لا يصدر إلا عن أعلم الناس وأبرهم..."[١].

فنلاحظ مما تقدم أن علماء أهل السنة لم يفرقوا بين المعجزة ودلائل النبوة بل هي داخلة في الدلائل.

قال أستاذنا الدكتور صالح الرضا: "وإني أرى كما هو في **التعريف المختار**: أن ما عدّ من دلائل النبوة وعلاماتها هو من الإعجاز بلا شك ولا ريب؛ لأن خرق العادة فيها كان لإثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أجراه الله عز وجل ليؤكد للمؤمنين إيمانهم، ويزيدهم رسوخاً في هذا الإيمان والتسليم لرسول الله [صلى الله عليه وسلم] المصطفى ما قاله وشرعه وأمر به..."[٢].

وأما تعريف المعجزة بأنه: "أمر يجريه الله على يد نبيه، أو علم يبديه من قوله، لا يقدر أحد على الإتيان **بمثله في زمانه** يكون دليلاً على نبوته لخروجه عن طاقة الخلق"[٣].

ووضع قيد (في زمانه) لتدخل الأمور العلمية التي ذكرت في القرآن الكريم...

واعتبار هذا التعريف جامعاً لجميع الوجوه التي عدت من الإعجاز **فيه عندي نظر والله أعلم،** وذلك لأن هذه الدلائل تبقى معجزة لا يستطيع أحدٌ أن يأتي بمثلها لا في زمانه صلى الله عليه وسلم ولا في غير زمانه، وغاية ما يحصل في العصر الحديث بعد وجود هذه الأجهزة المتطورة هو التعرف بشيء من الوضوح على تفاصيل وصور هذه الدلائل، فمثلاً أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن الذباب في أحد جناحيه داء وفي الآخر دواء[٤]، وهذا حق لا يتخلف، ولا وجه هنا لعبارة (لا يقدر أحدٌ على الإتيان بمثله في زمانه) فهو حاصلٌ من حين إخبار النبي صلى الله عليه وسلم به إلى يوم الدين، وأتى العلم الحديث وكشف عن صدق هذا الخبر بشيء من التوضيح والتصوير، وكذا أخبر صلى الله عليه وسلم عن مراحل التخليق[٥] وهي معجزة في عصره وإلى آخر الزمان وغاية ما يحصل الآن هو تصوير هذه الحقيقة بالأجهزة الحديثة مما يزيد في اليقين ويثير العجب لدى غير المسلمين المتشككين فيدعوهم إلى اليقين

---

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للعلامة الشيخ صالح الفوزان (ص٢٠٥-٢٠٦)، ومن أراد المزيد فلينظر في هذا الموضوع كتاب النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية.

(٢) الإعجاز العلمي في السنة (٢١/١)، وقد حذفت بعض ماله صله بالتعريف مما أرى أنه غير مسلم به، وأبقيت ما أرى أنه أقرب للصواب.

(٣) الإعجاز العلمي في السنة (٢١/١).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٣ /١١٧٤، رقم٣٠٣٦)، في بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة،(الجامع الصحيح)، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري- تحقيق الدكتور مصطفى ديب البُغا - دار ابن كثير - ط الخامسة - ١٤١٤هـ، ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٣٦، رقم٢٦٤٣)،لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي–بيروت. في القدر، باب: كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، ولفظ البخاري: ((إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ...)).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٣ /١٢٠٦، رقم٣١٤٢)، في بدء الخلق، باب: إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه فإن في إحدى جناحيه داء وفي الأخرى شفاء.

بصحة ما أخبر به سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، وقد يكون سبباً في هداية من يشاء الله منهم، والله هو الهادي إلى سواء السبيل، لذا فأرى أن يحذف من تعريف المعجزة عبارة (لا يقدر أحد٠ على الإتيان بمثله في زمانه)، فهي لا تحقق المعنى الذي أراد قائله تقريبه.

أما الشطر الثاني من التعريف وهو قولنا: (في السنة):

فالمراد به الحقائق العلمية التي دلت عليها السنة النبوية، وتم اكتشافها مؤخراً، وعليه فلا بأس من إطلاق عبارة (الإعجاز) أي العلمي على الحقائق العلمية التي دلت عليها السنة النبوية، ***من باب التجوز والتوسع في التعبير إذ أن الدلائل والمعجزة بينها نوع تداخل.***

وهناك تعريف آخر للإعجاز العلمي وهو: "إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن النبي صلى الله عليه وسلم"[(١)].

المبحث الثاني
ضوابط الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة

لابد لبحوث الإعجاز العملي من ضوابط وقواعد تحدد مسار البحوث وفق الأصول الشرعية، مع العناية بالجوانب الفنية والعلمية، وحتى تكون مرشداً للباحثين في هذا المجال لاسيما من غير المتخصصين في العلوم الشرعية، وحتى تمنع التجاوزات التي تحصل في هذا الباب من العديد من الباحثين، مما لا علاقة له بالإعجاز، لذا انبرى بعض العلماء لوضع هذه الضوابط.

ضوابط استخراج وجه الإعجاز بين النص والحقيقة كالتالي:

- ثبوت النص وصحته إن كان حديثاً لتواتر القرآن دون الحديث.
- ثبوت الحقيقة العلمية ثبوتاً قاطعاً وتوثيق ذلك توثيقاً علمياً، متجاوزة مرحلة الفرض والنظرية إلى القانون العلمي.
- وجود الإشارة إلى الحقيقة العلمية في النص القرآني أو الحديثي بشكل واضح لا مرية فيه.

فإذا تم ذلك أمكنت دراسة القضية لاستخراج وجه الإعجاز، ويجب في أثناء تلك الدراسة مراعاة الضوابط التالية :

١- جمع النصوص القرآنية أو الحديثية المتعلقة بالموضوع ورد بعضها إلى بعض لتخرج بنتيجة صحيحة لا يعارضها شيء من تلك النصوص بل يؤيدها .
٢- جمع القراءات الصحيحة المتعلقة بالموضوع إن وجدت، وكذلك روايات الحديث بألفاظها المختلفة .
٣- معرفة ما يتعلق بالموضوع من سبب نزول ونسخ، وهل يوجد شيء من ذلك أو لا ؟

(١) الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة ص٢٢.

٤- محاولة فهم النص الواقع تحت الدراسة على وفق فهوم العرب إبان نزول الوحي وذلك لتغير دلالات الألفاظ حسب مرور الوقت، ولهذا يقتضي الأمر الإلمام بمسائل تعين على فهم النص والتمكن من تقديم معنى على آخر، **وهي كالآتي :**

- إن النص مقدم على الظاهر والظاهر مقدم على المؤول.
- إن المنطوق مقدم على المفهوم وإن المفاهيم بعضها مقدم على الآخر كذلك.
- أن يخضع في تناوله للنص لقاعدة : العام والخاص والمطلق والمقيد والمجمل والمبين وأن العموم مقدم على الخصوص والإطلاق مقدم على التقييد، والإفراد على الاشتراك، والتأصيل على الزيادة، والترتيب على التقديم والتأخير، والتأسيس على التأكيد، والبقاء على النسخ، والحقيقة الشرعية على العرفية، والعرفية على اللغوية.
- مراعاة السياق والسباق وعدم اجتزاء النص عما قبله وما بعده .
- مراعاة قاعدة : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.
- معرفة معاني الحروف وعدم تفسير حرف أو حمله على معنى لا يقتضيه الوضع العربي
- مراعاة أوجه الإعراب وعدم القول بتوجيه لا يسانده إعراب صحيح أو قرينة أخرى.
- أن المشترك اللفظي يمكن حمله على واحد من معانيه دون نفي الآخر أو القطع بأن هذا الصواب وحده ما لم تكن هناك قرينة راجحة.

٥- إظهار وجه الإعجاز : فإذا تم ذلك لم يبق على الباحث سوى أن يظهر الربط بين الحقيقة الشرعية والعلمية بأسلوب واضح مختصر.

٦- أن هناك أموراً من قبيل المتشابه لا مجال لفهمها أو تناولها بالبحث.

٧- عدم البحث في الأمور الغيبية كموعد قيام الساعة وبداية الخلق والجنة والنار.

٨- عدم الاعتماد على الإسرائيليات أو الروايات الضعيفة.

٩- الاعتماد على المصادر المعتبرة في ذلك دون غيرها كأمهات التفسير والحديث وكتب غريب القرآن والسنة، مع الإشارة إلى جهود الدراسات السابقة إن وجدت .

١٠- الابتعاد عن تسفيه آراء السلف من علماء التفسير والحديث ورميهم بالجهل لأن القرآن والسنة خطاب للبشرية في كل عصر، والكل يفهم منهما بقدر ما يفتح الله عليه، وبحسب ما يبذله منجهد وما هو متوفر لديه من وسائل، ولن يحيط بفهم الوحي أهل عصر إلى قيام الساعة، فلا مجال للتسفيه والتجهيل وإنما هي الاستفادة والتكميل والدعاء لمن تقدم ، قال تعالى :{وَالَّذِينَ جَاؤُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} (الحشر:١٠)، بل الواجب اتباع فهم السلف رضي الله عنهم، وخصوصاً الصحابة رضوان الله عليهم لأنهم أدرى بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصالح لا سيما علماؤهم وكبراؤهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين وعبدالله بن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم.

١١- فهم العمدة والعدول بخبر الله تعالى، وعنهم أخذ التابعون وعلى نهجم ساروا، فمن عدل عن تفسيرهم إلى ما يخالفه كان مخطئاً، بل ومبتدعاً؛ لأنهم كانوا أعلم بتفسير كتاب الله من غيرهم وأورع وأتقى.

١٢- ينبغي أن تحصر الدراسة فيما تمكن القدرة عليه فالأفراد يمكن أن يقصروا بحوثهم فيما يتعلق بالاكتشافات فيما هو خاضع لتجاربهم المخبرية ليصلوا من خلال ذلك إلى الحق، وللجامعات والمراكز والدول مجالات أكثر وأكبر.

١٣- ينبغي أن يعلم الباحث في هذا المجال أن كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم صدق وحق ولا يمكن بحال أن يخالف حقيقة علمية لأن منزل القرآن هو الخالق العالم بأسرار الكائنات قال تعالى:{أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}(الملك: ١٤) ومعرفة ذلك تقتضي منا التريث وعدم تحميل النص ما لا يحتمله من أجل أن يوافق ما نظنه حقيقة، فإذا لم يتيسر ذلك بشكل واضح فعلينا أن نتوقف دون نفي أو إثبات ونبحث عن موضوع آخر والزمن كفيل بانكشاف الحق بعد ذلك .

١٤- على الباحث أن يتحر الصدق والصواب وأن يخلص نيته لله في تبيين الحق للناس من أجل هدايتهم وأن يعلم خطورة ما يتناوله ويعبر عنه.

١٥- ينبغي أن يتصف الباحث كذلك بالصبر مع توفر الكفاءة العلمية المكتسبة حتى يميز الحق من الباطل ويقبله ويلتزم بالموضوعية، ومعناها هنا : حصر المعلومات ودراستها من غير تحيز لفكرة أو رأي سابق مع التقيد بالمنهج العلمي في التوثيق والاقتباس والإحالات[١].

المبحث الثالث
تعريف السواك وحكمه لدى الفقهاء.

تعريف السواك في اللغة والاصطلاح:

قال ابن فارس: "السين والواو والكاف: أصل واحد يدل على حركة واضطراب، ومنه اشتق اسم السواك وهو العود نفسه، والسواك: استعماله أيضاً"[٢].

وقال ابن منظور: "سوك السوك فِعْلُك بالسِّواك والـمِسْواك... ساك الشيءَ سَوْكاً دَلَكه، ساك فَمَه بالعُود يَسُوكه سَوْكاً ... سَاكَ وسَوَّكَ واحدٌ واسْتاكَ مشتق من ساكَ، وإذا قلت: اسْتاك أو تَسَوَّك فلا تذكر الفَم والعُود"[١].

(١) الإعجاز العلمي في القران والسنة ص٣٠-٣٥، وانظر الأعجاز العلمي ضوابط وحدود، لفهد اليحيى، موقع الهيئة العالمية للاعجاز العلمي في القرآن والسنة: http://www.eajaz.org/index.php/component/content/article/73-Number-XV/724-Scientific-Miracles.

(٢) مقاييس اللغة (١١٧/٣-١١٨)، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا - تحقيق عبدالسلام هارون- دار الجيل - بيروت - ط الأولى- ١٤١١هـ.

وقال النووي: "وهو في **اصطلاح العلماء:** استعمال عود أو نحوه في الأسنان لتذهب الصفرة وغيرها عنها والله أعلم"(٢).

أما حكمه لدى الفقهاء:

فقال النووي: "ثم أن السواك سنة ليس بواجب في حال من الأحوال، لا في الصلاة ولا في غيرها بإجماع من يعتد به في الإجماع، وقد حكى الشيخ أبو حامد الاسفراينى إمام أصحابنا العراقيين عن داود الظاهري أنه أوجبه للصلاة وحكاه الماوردي عن داود، وقال: هو عنده واجب لو تركه لم تبطل صلاته، وحكى عن إسحاق بن راهويه أنه قال: هو واجب فان تركه عمداً بطلت صلاته! وقد أنكر أصحابنا المتأخرون على الشيخ أبي حامد وغيره نقل الوجوب عن داود وقالوا مذهبه أنه سنة كالجماعة، ولو صح إيجابه عن داود لم تضر مخالفته في انعقاد الإجماع على المختار الذي عليه المحققون والأكثرون، وأما إسحاق فلم يصح هذا المحكي عنه والله أعلم"(٣).

وقال الصنعاني: "هو سنة عند جماهير العلماء، وقيل بوجوبه"(٤).

وقال الشوكاني: "هو من السنن المؤكدة، وليس بواجب في حال من الأحوال..."(٥).

وقال ابن قاسم: "اتفق العلماء على أنه سنة مؤكدة لحث الشارع ومواظبته عليه"(٦).

أما الأوقات التي يستحب فيها السواك:

فقال النووي: "السواك مستحب في جميع الأوقات، ولكن في خمسة أوقات أشد استحباباً:

أحدها: عند الصلاة سواء كان متطهرا بماء أو بتراب أو غير متطهر، كمن لم يجد ماءً ولا تراباً.

الثاني: عند الوضوء.

الثالث: عند قراءة القرآن.

الرابع: عند الاستيقاظ من النوم.

---

(١) لسان العرب مادة (سوك) (٤٤٦/١٠)، بتصرف، لمحمد بن مكرم بن منظور - دار صادر- بيروت - ط أولى.

(٢) شرح النووي على مسلم (١٤٢/٣)،مؤسسة الكتب الثقافية - ودار الكتب العلمية - بيروت، وانظر نيل الأوطار (١٣٣/١)، لمحمد بن علي الشوكاني- تعليق عصام الدين الصبابطي، دار الحديث- ط أولى-١٤١٣، وحاشية الروض المربع (١٤٨/١)، لعبدالرحمن بن قاسم- بدون ذكر للدار- ط رابعة – ١٤١٠هـ.

(٣) شرح النووي على مسلم (١٤٢/٣).

(٤) سبل السلام (٧٢/١)، لمحمد بن إسماعيل الصنعاني- تحقيق محمد محرز سلامة وزملاؤه- مطبعة جامعة الإمام- ط الرابعة- ١٤٠٨هـ، ورد الوجوب بقوله في تتمة كلامه: ((وحديث الباب دليل على عدم وجوبه)) يشير لحديث لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء، وسيأتي تخريجه. وهذا اللفظ عزاه ابن حجر في البلوغ لمالك وأحمد والنسائي وصححه ابن خزيمة وذكره البخاري تعليقاً، انظر سبل السلام (٧١/١).

(٥) نيل الأوطار (١٣٤/١).

(٦) حاشية الروض المربع (١٥٠/١).

الخامس: عند تغير الفم، وتغيره يكون بأشياء منها ترك الأكل والشرب، ومنها أكل ما له رائحة كريهة، ومنها طول السكوت ومنها كثرة الكلام"[١].

المبحث الرابع
بعض الأحاديث الواردة في فضل السواك والحث عليه

اقتصرت هنا على بعض الأحاديث الصحيحة التي فيها بيان فضيلة السواك صراحة، واكتفيت بهذا العدد طلباً للاختصار، وهناك أحاديث أخرى عديدة وصحيحة تدل على الأفضلية أكثرها من فعل النبي صلى الله عليه وسلم، كما أن هناك أحاديث أخرى في الأفضلية، من قول النبي صلى الله عليه وسلم ومن فعله، منها ما هو حسن ومنها ما هو ضعيف، وقد اكتفيت بما يلي وانتقيته ليحصل به المقصود وهي كالتالي:

الحديث الأول:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لولا أن أشق على أمتي أو على الناس لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة)[٢].

الحديث الثاني:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء))[٣].

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٤٢/٣-١٤٣)، وانظر نيل الأوطار (١٣٤/١)، وانظر ما زاده في زاد المستقنع وحاشيته (١٥١/١-١٥٣)، والشرح الممتع (١١٩/١-١٢٦)للشيخ محمد صالح العثيمين- مؤسسة آسام- ط أولى- ١٤١٤هـ، مع أدلة بعض هذه الأوقات، ووجه إلحاق ما لا دليل خاص عليه بها.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣٠٣/١، رقم٨٤٧) في الجمعة باب: السواك يوم الجمعة، ومسلم في صحيحه (٢٢٠/١، رقم٢٥٢) في الطهارة، باب: السواك، لكن بلفظ: (عند كل صلاة).

(٣) رواه البخاري في صحيحه معلقاً بصيغة الجزم (٦٨٢/٢)، ورواه أحمد في مسنده (٤٦٠/٢)،تحقيق جماعة بإشراف الدكتور سمير طه المجذوب - المكتب الإسلامي - بيروت - ط أولى - ١٤١٣هـ، من طريق مالك عن ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة مرفوعاً **بسند صحيح**، وابن خزيمة في صحيحه (٧٣/١، رقم١٤٠) تحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي - المكتب الإسلامي - بيروت - ط ثانية - ١٤١٢هـ ، من طريق روح بن عبادة عن مالك به ، وقال عقبه: ((هذا الخبر في الموطأ عن أبي هريرة: لولا أن يشق على أمته لأمرهم بالسواك عند كل وضوء ورواه الشافعي وبشر بن عمر كراوية روح))، وانظر طرق متعددة لهذا الحديث في بغية النساك في أحكام السواك وحاشيته (ص٥٥-٥٦) لمحمد بن أحمد السفاريني- تحقيق عبدالعزيز ابن إبراهيم الدخيل- دار الصميعي- ط أولى- ١٤٢٠.

الحديث الثالث:

عن أنس رضي الله عنه قال:(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أكثرت عليكم في السواك)) [(١)].

الحديث الرابع:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(عشر من الفطرة: قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظفار وغسل البراجم ونتف الإبط وحلق العانة وانتقاص الماء...)[(٢)].

الحديث الخامس:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(السواك مطهرة للفم مرضاة للرب)[(٣)].

الحديث السادس:

عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما زال جبريل يوصيني بالسواك حتى خفت على أضراسي)[(٤)].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه(٣٠٣/١، رقم٨٤٨) في الجمعة باب: السواك يوم الجمعة، وانظر معرفة النساك في أحكام السواك وحاشيته (ص٦٢).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٢٣، رقم ٢٦١)، في الطهارة باب: خصال الفطرة، وأحمد في مسنده(١٣٧/٦).

(٣) رواه البخاري في صحيحه معلقاً بصيغة الجزم، فهو صحيح (٦٨٢/٢)، ورواه أحمد في مسنده من طرق عديدة منها (٤٧/٦)، طريق ابن إسحاق عن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر عن عائشة به، وابن خزيمة في صحيحه (٧٠/١، رقم١٣٥) في الوضوء، باب: فضل السواك، من طريق أخرى رجالها ثقات، وانظر ما قاله المحقق حول الحديث.

(٤) رواه الطبراني في الكبير(٢٥١/٢٣، رقم٥١٠)،لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني - تحقيق حمدي السلفي - الدار العربية، ومطبعة الأمة - بغداد - ١٩٧٨م، من طريق أبي تميلة عن عبد المؤمن بن خالد عن بن بريدة عن أبيه عن أم سلمة به، ورواه البيهقي في سننه (٤٩/٧)لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي - دار الفكر - بيروت، في الطهارة باب: في فضل السواك من طريق أبي تميلة أيضاً عن خالد بن عبيد عن عبد الله بن بريدة به، وقال البيهقي عقبه: ((كذلك رواه غيره [أي أحمد بن عمر القاضي] عن أبي تميلة يحيى بن واضح، **قال البخاري رحمه الله** هذا حديث حسن)) انتهى كلام البيهقي.

قلت: **إسناده ضعيف** لضعف محمد بن حميد الرازي، لكن له شواهد عديدة حول هذا المعنى، انظر التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير (٦٧/١) لابن حجر العسقلاني-تحقيق عبدالله هاشم اليماني-دار المعرفة- بيروت. وبغية النساك وحاشيته(ص٧٠-٧١).

الفصل الثاني

الإعجاز في السنة النبوية وربطه بالبحث العلمي، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الإشارات الإعجازية للسواك في السنة النبوية.
المبحث الثاني: بعض فوائد السواك الطبية التي ذكرها الفقهاء.
المبحث الثالث: السواك في السنة وصور الإعجاز فيهمن خلال البحث العلمي.

المبحث الأول
الإشارات الإعجازية للسواك في السنة النبوية.

نلاحظ أن الأحاديث الصحيحة تؤكد وترغب في استعمال السواك، حتى ذهب جماهير العلماء إلى استحبابه، ونص غير واحد منهم على أنه سنة مؤكدة، بل نُقل القول بوجوبه في بعض الحالات عن بعض العلماء كما تقدم.

ويلفت النظر كثرة الأحاديث الواردة في فضل السواك وهدي النبي صلى الله عليه وسلم في طريقة استعماله وأوقات استعماله، حيث عقدت له كتب الحديث باباً مستقلاً.

قال صاحب البدر المنير: "قد ذُكر في السواك زيادة على مائة حديث، فواعجباً!! لسنة تأتي فيها الأحاديث الكثيرة، ثم يهملها كثير من الناس!!، بل كثير من الفقهاء، فهذه خيبة عظيمة"[(١)].

وقال ابن قاسم: "ورد في فضل السواك أكثر من مائة حديث، حتى عُدّ في المتواتر"[(٢)].

بل قال النبي صلى الله عليه وسلم صراحة:(أكثرت عليكم في السواك)[(٣)].

وهذه الكثرة في أحاديث السواك تثير التساؤل لماذا هذه الأهمية؟! لا بد أن يكون في الأمر شيء!!

وتأمل كيف أن النبي صلى الله عليه وسلم لولا خوف المشقة على أمته لفرض عليهم السواك وأوجبه عند كل صلاة، أو عند كل وضوء، **فلماذا هذا التأكيد الذي كاد أن يبلغ الوجوب؟!.**

ومعلومٌ أن الشريعة لا تأمر بشيء وتأكد عليه إلا لأهميته وكثرة نفعه وخيره، وما تنهى عن شيء إلا لخطره وشره أو لضرره.

وما من شيء يشرعه الله تعالى لعباده إلا و له فيه حكمة وأسرار قد تكون ظاهرة وقد تكون مستترة، وقد تظهر لبعض الناس دون بعض، وقد لا تظهر في زمان، لكنها تظهر في زمان آخر!!

والعجيب أنه من خلال الواقع نلاحظ كثرة المراكز الطبية والمستوصفات الحكومية والأهلية التي تقوم بالعناية بالأسنان وعلاجها ونلاحظ كثرة المتدفقين عليها، خلافاً لسائر المراكز التي تعنى بعلاج أمراضٍ أخرى، وما ذلك إلا لكثرة الإصابة بالتسوس وانتشار أمراض الأسنان واللثة، وقد أثبتت الدراسات أن الذين يستعملون السواك يقل عندهم الإصابة بمثل هذه

---

(١) سبل السلام (٧٢/١).
(٢) حاشية الروض المربع (١٥٠/١).
(٣) تقدم تخريجه ص٣.

الأمراض[1]، بل أكد الأطباء أن العناية بالسواك يخفف على الدول اقتصادياً، ويحفظ لها الملايين من الأموال التي تصرف على الصحة، لاسيما على مصحات الأسنان.

ومن المهم دراسة قضية السواك وربطها بالأبحاث العلمية، لأن مشكلة التسوس تعد من أكثر المشاكل الطبية في المملكة، فقد ذكر مصدر طبي سعودي أن ٩٠% من سكان السعودية يعانون من تسوس الأسنان![2]

وقال الدكتور علي الأحيدب أن ٥١ مليون ساعة دراسية يفقدها الطلبة بسبب مشكلات الأسنان، و٩٦% من أطفال المملكة يعانون تسوس الأسنان!![3]

وكشف مختصون في طب وتقويم الأسنان، أن نسبة الأطفال الذين يستخدمون تقويم الأسنان في السعودية تصل إلى ٨٠ في المائة، مرجعين الأمر إلى خليط من الأسباب التي تتضمن الوراثة وقلة التوعية بأهمية تنظيف الأسنان مما يسبب سقوطها.[4]

كما أثبتت الدراسات العالمية تأثير تسوس الأسنان على القلب وعلى الجانب النفسي، فقد ذكرت دراسة أعدها باحثون في تايوان أن الأشخاص الذين يعتادون على تنظيف أسنانهم بشكل منتظم لدى الطبيب تقل لديهم بنسبة ٢٤% مخاطر الإصابة بأزمات قلبية وبنسبة ١٣% احتمالات الإصابة بالسكتة الدماغية مقارنة بغيرهم الذين لم يخضعوا من قبل لمثل هذا الإجراء، حيث أوضحت الدراسة أن العادات الصحية السيئة تجاه الفم ترتبط بزيادة مخاطر الإصابة بأمراض القلب[5].

كل ذلك يذكرنا بقول **ابن ماسوية الطبيب** لما قرأ حديث (ما ملأ آدميٌ وعاءً شراً من بطن...)[6] قال: ((لو استعمل الناس هذه الكلمات سلموا من الأمراض والأسقام، ولتعطلت المارستانات[7] ودكاكين الصيادلة))[8].

وأقول أيضاً: **لو عمل الناس بوصيته صلى الله عليه وسلم بالعناية بالسواك، فحافظوا على هذه السنة لما كثرت أمراض اللثة والأسنان بأنواعها، ولما احتجنا لهذه الكثرة الكاثرة من العيادات والمراكز الصحية المتعلقة بمعالجة أمراض الأسنان والتسوس، ولما بُذلت الملايين على ذلك من قبل الدول ولا من قبل الناس.** فإن التسوك بالسواك من أسباب الوقاية من كل أمراض الأسنان واللثة، ولذا فقد أدخله الأطباء ضمن الطب الوقائي.

(١) انظر علي سبيل المثال كتاب السواك ص١٤٦، للدكتور محمد على البار- دار المنارة – جده- ط أولى، ١٤١٤هـ.
(٢) (صحيفة الرياض عدد١٥٦٤٤).
(٣) صحيفة الاقتصادية العدد(٦٢٩٣).
(٤) جريدة الشرق الأوسط العدد (١٢١١٩).
(٥) جريدة الرياض http://www.alriyadh.com/683043.
(٦) انظر الحديث والكلام على سنده وشرحه في جامع العلوم والحكم (٤٦٧/٢)للحافظ ابن رجب عبدالرحمن بن شهاب الدين، تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم برجس- مؤسسة الرسالة- بيروت- ط الثالثة- ١٤١٢.
(٧) أشبه بالمصحّات التي يتم فيها العلاج أو بالمستوصفات والمراكز الصحية.
(٨) جامع العلوم والحكم (٤٦٨/٢).

من الإشارات: حث النبي صلى الله عليه وسلم وفعله للسواك في أغلب أوقات اليوم، عند الصلاة وعند دخول البيت وعند القيام من الليل، بل حتى في اللحظات الأخيرة من مغادرته للدنيا! فحصول الأفضلية لهذه الأوقات المتعددة في اليوم والليلة تشير لأهمية تنظيف الأسنان بصفة متكررة طوال اليوم بل إنه صلى الله عليه وسلم كاد أن يوجبه خمس مرات في اليوم والليلة، لولا خوف المشقة على أمته، فلماذا هذا التأكيد وهذه الأهمية؟! وسيأتي معنا في ثنايا البحث ما قرره الطب الحديث من سرعة تكون الجراثيم والطبقات التي تجتاح السن وتغطيه، وأن العلاج والحل الأمثل هو ضرورة تكرار السواك طوال اليوم.

كل هذه الإشارات وأمثالها والتي تظهر لنا من خلال النظر في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم تثير للمسلم النبيه تساؤلات حول أهمية السواك وشدة نفعه، قبل أن يطلع على ما ذُكر من إعجازٍ أثبته العلم الحديث، وقد دلت عليه أو على نتائجه الأحاديث الصحيحة.

المبحث الثاني
بعض فوائد السواك الطبية التي ذكرها الفقهاء

سنذكر بعض ما قاله علماء الشريعة وأطباء المسلمين عن السواك، **وسنلاحظ أن أكثر ما ذكروه مثبت بالتجارب العصرية التي سنذكر طرفاً منها في ثنايا البحث**، ليُعلم أن الطب عند المسلمين كان في غاية التطور والرقي العلمي، وسأنقل ما قاله الفقيه الحبر شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله في ذلك مرتباً على هيئة نقاط، وسيذهل القارئ إذا علم أن أكثر ما ذكره في غاية الدقة والصحة وقد أثبته الطب الحديث، وإليك كلامه.

قال ابن القيم رحمه الله في الطب النبوي:

((وأصلح ما اتخذ السواك من خشب الأراك ونحوه.

ولا ينبغي أن يؤخذ من شجرة مجهولة، فربما كانت سماً.

وينبغي القصد في استعماله فإن **بالغ فيه فربما أذهب طلاوة الأسنان وصقالتها** وهيأها لقبول الأبخرة المتصاعدة من المعدة والأوساخ.

ومتى استُعمل باعتدال جلا الأسنان وقوى العمود وأطلق اللسان **ومنع الحَفَر** وطيب النكهة ونقّى الدماغ وشهى الطعام.

وأجود ما استعمل مبلولاً بماء الورد، ومن أنفعه أصول الجوز، قال صاحب التيسير: زعموا أنه إذا استاك به المستاك كل خامس من الأيام نقى الرأس وصفى الحواس وأحدّ الذهن.

وفي السواك عدة منافع: يطيب الفم، ويشد اللثة، ويقطع البلغم، ويجلو البصر، ويذهب بالحفر، ويصح المعدة، ويصفي الصوت، ويعين على هضم الطعام، ويسهل مجاري الكلام، وينشط للقراءة والذكر والصلاة، ويطرد النوم، ويرضي الرب ويعجب الملائكة، ويكثر الحسنات،

ويستحب كل وقت، ويتأكد عند الصلاة، والوضوء، والانتباه من النوم، وتغيير رائحة الفم، ويستحب للمفطر والصائم في كل وقت لعموم الأحاديث فيه ولحاجة الصائم إليه، ولأنه مرضاة

للرب، ومرضاته مطلوبة في الصوم أشد من طلبها في الفطر، ولأنه مطهرة للفم، والطهور للصائم من أفضل أعماله...))[١].

المبحث الثالث

السواك في السنة وصور الإعجاز فيه من خلال البحث العلمي.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الصورة الأولى من صور الإعجاز، في خصوصية شجرة الأراك في السواك على غيرها.

المطلب الثاني: الصورة الثانية من صور الإعجاز، في الحث والتأكيد على تكرار السواك معظم اليوم.

المطلب الثالث: الصورة الثالثة من صور الإعجاز، في اهتمامه صلى الله عليه وسلم بتسويك اللسان.

المطلب الرابع: الصورة الرابعة من صور الإعجاز، في سنية غسل السواك، أو تطييبه باللعاب.

المطلب الأول

الصورة الأولى من صور الإعجاز

في خصوصية شجرة الأراك في السواك على غيرها

فقد جاء في السنة تحديد الشجرة التي يفضل الاستياك بها، إلا وهي شجرة الأراك[٢]، **ونص الفقهاء على أن أفضل ما يُستاك به شجرة الأراك،** ثم بقية الأشجار التي لا ضرر فيها، ولنذكر بعض الأحاديث التي تدل على أفضلية الأراك وأنه الشجرة التي يفضل الاستياك بها:

فعن ابن مسعود رضي الله عنه: ((أنه كان يجتني سواكا من الأراك، وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مم تضحكون؟ قالوا: يا نبي الله من دقة ساقيه، فقال: والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد)) [٣].

---

(١) زاد المعاد، (الطب النبوي منه) (٣٢٢/٤-٣٢٤)، لمحمد بن أبي بكر الزرعي ابن قيم الجوزية- تحقيق شعيب الأرناؤوط، وعبدالقادر الأرناؤوط- مؤسسة الرسالة- ط ثالثة- ١٤٠٩، وبغية النساك في أحكام السواك (ص١٠٩-١١٠)، وانظر كتاب الطب من الكتاب والسنة لموفق الدين البغدادي وحاشيته (ص٢٦-٦٣)، تحقيق الدكتور عبدالمعطي أمين قلعجي- دار المعرفة- بيروت- ط ثالثة- ١٤١٤هـ، و حاشية الروض المربع (١٥٣/١) ، فقد ذكر عن العلماء مجموعة من فوائد السواك.

(٢) انظر الإعجاز العلمي في السنة النبوية (٥١٤/١-٥١٥).

(٣) راوه أحمد في مسنده (٤٢٠/١-٤٢١)، وأبو داود الطيالسي في مسنده (ص٤٧ رقم٣٥٥)لسليمان بن داود الطيالسي- دار المعرفة- بيروت، وأبو يعلى في مسنده (٢٠٩/٩، رقم٥٣١٠)لأحمد بن علي أبو يعلى الموصلي-تحقيق حسين سليم أسد- دار التراث - دمشق- ط أولى- ١٤١٤هـ، من طريق حماد بن سلمة عن عاصم عن زر بن حبيش عن ابن مسعود به،

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بهم وهم يجتنون أراكاً، فأعطاه رجل جني أراك، فقال: لو كنت متوضأً أكلته))[(١)].

وعن أبي خيرة الصُّبَاحي قال: ((كنت في الوفد الذي أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من عبدالقيس **فزودنا الأراك نستاك به**، فقلنا يا رسول الله: عندنا الجريد ولكنا نقبل كرامتك وعطيتك، فقال رسول الله **r** : اللهم اغفر لعبد القيس إذ أسلموا طائعين غير مكرهين، إذ بعض قوم لم يسلموا إلا خزايا موتورين))[(٢)].

ومن الأحاديث الصريحة في مكانة عود الأراك في السواك، ما رواه أبو أُمَامَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّـهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّـهُ لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ». فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ **وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ**»[(٣)].

وقد ذهب الفقهاء إلى استحباب الاستياك بالأراك وتفضيله لهذه الأحاديث[(٤)]،وهو قول الجمهور[(٥)].

ورواه بنحوه الطبراني في المعجم الكبير(٧٨/٩، رقم٨٤٥٢)، وغيره بألفاظ متقاربة، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٨٩/٩)لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي- دار الكتاب- بيروت- ط ثالثة- ١٤٠٢هـ بعدما أورده بطرقه: ((وأمثلها فيه عاصم بن أبي النجود، وهو حسن الحديث على ضعفه، وبقية رجال أحمد وأبو يعلى رجال الصحيح))، وقال الألباني: **سنده حسن**، وانظر إراوء الغليل (١٠٤/١، رقم٥٦) للمحدث محمد ناصر الدين الألباني- المكتب الإسلامي- بيروت- ط ثالثة- ١٤٠٥هـ.

(١) رواه أحمد في مسنده ٣٨٦/٣، عن حسن (وهو بن أعين) عن ابن لهيعة عن بكر بن سوادة أن مولى لجابر بن عبد الله أخبره فذكره...، **وسنده ضعيف**، لضعف ابن لهيعة وجهالة مولى جابر، قال في التقريب: "عبدالله بن لهيعة...صدوق..خلط بعد احتراق كتبه ورواية ابن المبارك وابن وهب عنه أعدل من غيرهما.."رقم٣٥٦٤، للحافظ أحمد بن علي بن حجر- تحقيق محمد عوامة - دار ابن حزم- بيروت- ط أولى- ١٤٢٠هـ، **لكن يشهد له ماقبله.**

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات (٧٨/٧-٨٨)لأبي عبدالله محمد بن سعد بن منيع الزهري - تقديم إحسان عباس - دار صادر - بيروت - ١٣٨٠هـ، عن خليفة خياط قال: حدثنا عون بن كهمس قال: حدثنا داود بن المساور عن مقاتل بن همام عن أبي خيرة الصُّبَاحي به، وأورده البخاري في التاريخ الكبير في كتاب الكنى (٢٨/٨)،لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار الكتب العلمية - بيروت -١٤٠٧هـ، عن خليفة خياط أيضاً بنفس السند، ورواه الطبراني في الكبير (٣٦٨/٢٢ رقم٩٢٣، و٩٢٤) من نفس الطريق، قال في المجمع: (٦٥/٥): **(وفيه جماعة لم أعرفهم)**، أي مجاهيل وهو كما قال، وانظر الإصابة في تمييز الصحابة (١١١/٧)، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني - دار الكتب العلمية - بيروت - مصورة عن النسخة المطبوعة ١٨٥٣م.

(٣) ما رواه مسلم في صحيحه برقم٣٧٠(١/ ٨٥) دار الجيل، وهذا دليل على أهمية وشهرة عود الأراك، ولم يكن يستخدم إلا في السواك.

(٤) قال النووي في المجموع (٣٣٦/١)لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي- دار الفكر- بيروت،: ((واستدلوا للأراك بحديث أبي خيرة الصباحي رضي الله عنه...))، ونقل ابن حجر في التلخيص (٧١/١) عن ابن الصلاح قوله: ((وهذا الحديث مستند قول صاحب الإيضاح والحاوي والتنبيه حيث استحبوه)).

(٥) انظر بحثاً للشيخ الدبيان بعنوان "التسوك بالعود وأي السواك به أفضل" ،

قال ابن القيم: "وأصلح ما اتخذ السواك من خشب الأراك ونحوه..."(١).

مكانة نبتة سواك الأراك بين غيرها من نبات السواك:

لقد أثبتت الأبحاث وجود ما لا يقل عن ١٨٢ نبتة أو شجرة مختلفة الفصائل والتي تستخدم أعوادها لتحضير السواك، من هذه الأشجار يوجد ما لا يقل عن ١٥٨ نبتة في قارة أفريقيا وحدها، وأشهر هذه الأشجار على الإطلاق وأكثرها شيوعاً واستخداماً هي شجرة الأراك(٢).

واسمها العلمي هو السلفادور برسيكا، وهي تنمو في مناطق عديدة حول مكة وفي المدينة المنورة وفي اليمن وفي أفريقيا، وهي شجرة قصيرة، لا يزيد قطر جذعها عن قدم، أطرافها مغزلية، أوراقها لامعة، جذوعها مجعدة، ولونها بني فاتح، والجزء المستعمل هو لب الجذور، ولاستعماله تجفف ثم يحفظ في مكان بعيد عن الرطوبة، وقبل استعماله يدق بواسطة آلة حادة ثم يبدأ في استعماله، وإذا كان جافاً يغمس في الماء ثم تسوك به الأسنان، ويظل استعماله هكذا حتى إذا ضعفت وتآكلت يوقف استعماله ثم يقطع هذا الجزء ويستعمل جزء آخر وهكذا(٣).

وإلى القارئ الكريم التعرف على التركيبة الكيماوية الخاصة بالأراك، الذي دلت السنة على الاستياك به، والتي قررها العلم الحديث:

فقد جاء في أحد البحوث وصف التركيبة الخاصة بالسواك كالتالي:

١- مادة شبه قلويدية يمكن أن تكون سلفارورين.
٢- تراي مثيل أمين (ثلاثي المثيل أمين).
٣- نسبة عالية من الكلوريد والفلوريد والسيليكا.
٤- كبريت.
٥- فتامين جي.
٦- كمية قليلة من مادة الصابونين، والتانين والفلافويند.
٧- كمية وفيرة من مادة السيتوستيرول.

وبنظرة بسيطة على المكونات الكيماية للسواك يمكن معرفة الآتي:

---

http://www.alukah.net/sharia/0/47584/.

(١) زاد المعاد، (الطب النبوي منه) (٣٢٢/٤-٣٢٤)، وبغية النساك في أحكام السواك (ص١٠٩-١١٠)، وانظر كتاب الطب من الكتاب والسنة لموفق الدين البغدادي وحاشيته للدكتور القلعجي (ص٢٦-٦٣)، و حاشية الروض المربع (١٥٣/١) ، فقد ذكر عن العلماء مجموعة من فوائد السواك.

(٢) الإعجاز العلمي للسنة النبوية في أسرار مسواك عود الأراك وتأثيره على صحة الفم ومناعة الخلايا البشرية، د. مشاري بن فرج العتيبي، نقلاً عن موقع: http://www.nooran.org/con8/Research/46.htm.

(٣) نفس المصدر السابق.

أ- ثبت أن لها تأثيراً على وقف نمو البكتريا بالفم، وذلك يمكن أن يكون بسبب مادة تحتوي على الكبريت.
ب- مادة الترميثيل، تخفض من الأس الهيدروجيني للفم (وهو أحد العوامل الهامة لنمو الجراثيم) وبالتالي فإن نمو هذه الجراثيم قليل.
ت- أنها تحتوي على مادة فتامين ج ومادة السيستوستيرول، والمادتان تساعدان على تقوية الشعيرات الدموية المغذية للثة، وبذلك يتوفر وصول الدم إليها بالكمية الكافية، ويعمل فيتامين ج أيضاً على حماية اللثة من الالتهابات.
ث- تحتوي على مادة راتنجية تقوي اللثة.
ج- تحتوي على مادة اللكلوريد والسليكات وهي مواد تزيد بياض الأسنان[1].

أيضاً جاء في بحث آخر في تركيبة السواك الكيمائية وجود المواد التالية:

١- أملاح معدنية: وهذه إما تكون موجودة في النباتات أو تكون موجودة بشكل أملاح عضوية بالترميد، (أي تحويلها إلى رماد) أو التكليس (أي بإضافة مادة الكالسيوم) إلى أملاح ثابتة، ويتم الترميد بتسخين مسحوق العقار في فرن حرارته عالية، فتتخرب المواد العضوية فيه، ثم تتفحم، وأخيراً تتحول إلى مواد معدنية لا تتأثر بالحرارة، فوجد أن فيها مواد الكبريت والكبريتور، والكلور والكالسيوم، والفحمات والفوسفات والصوديم والحديد وبلورات السليكات بنسبة ٤ % من وزن العيدان الجافة.
٢- مواد عطرية زيتية ذات رائحة زكية تنحل في الغول (الكحول الأثيلي) والأثير: وكانت نسبة المواد العطرية ١% من الوزن الجاف.
٣- مواد سكرية مثل النشأ الذي يظهر بوضوح عند إضافة محلول اليود، فيظهر اللون الأزرق المتميز للنشأ، ومواد صمغية، ومواد سكرية بسيطة، مثل سكاكير خلونية، وسساكر خمّاسية وجالكتوز.
٤- النشادر(الأمونيا).
٥- أحماض غلوية: وهي أحماض هيدروكسيلية، وقد أشارت بعض الكتب إلى أن تفاعل المسواك قلوي خفيف، كما قال الدكتور زكي كرام في رسالة باللغة الألمانية ألفها في هذا الشأن، ولهذا التفاعل تأثير دوائي هام، فكثير من أمراض الفم الأوساط القلوية أكثر من الحامضية [2].

---

(١) بحث بعنوان استعمال السواك لنظافة الفم وصحته (٤٠٧/١-٤١١)، للدكتور محمد رجاء المصطيهي وزملاؤه، داراسة سريرية وكيميائية، أبحاث المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي،الكويت- ١٤٠١، وعنه كتاب السواك (ص١٥١-١٥٣)، وهناك نتائج مقاربة عن الدكتور عبدالغني حمزة، نقلها عنه الدكتور عبدالله السعيد في كتابه السواك والعناية بالأسنان (ص٤٥-٤٦)مكتبة المنار الزرقاء- الأردن- ١٤٠٢، وانظر كتاب السواك للدكتور محمد على البار (ص١٥٣-١٥٤) وانظر استعمال السواك لنظافة الفم وصحته، دراسة سريرية وكيميائية د.محمود رجائي وزملاؤه، نقلاً عن موقع: http://www.islamset.com/arabic/ahip/practice/ragay.html.

(٢) السواك والعناية بالأسنان (ص٥١)، وهو منقول من بحث للصيدلي صلاح الدين الحنفي في رسالته للتخرج من كلية الصيدلة بجامعة دمشق، وانظر كتاب السواك للدكتور محمد على البار

وجاء أيضاً في مجموع أبحاث أخرى ما ملخصه:

((أن مسواك الأراك المستخدم في السعودية وغيرها يحتوي على مواد مطهرة وقاتلة للميكروبات أهما: الكبريت، ومادة سيستوستيرول(ب) كما يحتوي المسواك على مادة منظفة للأسنان هي بيكربونات الصودا ويحتوي عود الأراك على مواد مضادة للالتهاب ومضادة للتسوس كما ذكر ذلك براون وجاكوب (يعقوب) في بحثهما عن المسواك، وقد أكدا وجود مواد قاتلة للميكروبات.

وأوضح الدكتور عبدالرحيم محمد والدكتور جميس ترنر أن لحاء، وخشب عود الأراك المقطوع حديثاً لا يوجد فيه مواد ضارة بالخلايا، ولكن إذا ترك الجزء المستعمل لأربعة وعشرين ساعة فإنه يحتوي على مواد ضارة للخلايا، **ولذا فإن الباحثين ينصحان بقطع الجزء المستعمل كل أربع وعشرين ساعة على الأكثر))**[1].

ولعظيم نفع هذا المادة التي أبهرت الأطباء بكثرة فوائدها التي لا يعادلها شيء من المعاجين المصنعة، هرعت الكثير من الشركات الأوربية والآسيوية إلى تصنيع معاجين مستحضرة من مادة السواك[2].

وبما تقدم ذكره من أبحاث تثبت فوائد هذه المادة التي دلت عليها سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم يتبين لنا وجه الإعجاز في حث النبي صلى الله عليه وسلم على السواك.

وقد قارن أساتذة الطب في دراسات عجيبة بين السواك المأخوذ من شجرة الأراك وفرشاة الأسنان الحديثة، بل وصل الحال في أحد المؤتمرات العالمية الطبية والذي عقد في السويد أن يقرر الأطباء العيوب التي تحصل من جراء استعمال الفرشاة وأن الحل الأمثل الذي لا عيب فيه من الناحية الطبية استعمال السواك فقط دون غيره!.

(ص١٥٤-١٥٥)، وانظر تنبيهه في الحاشية على خطأ علمي في الفقرة الأخيرة من كلام الدكتور الحنفي، وانظر الإعجاز في السنة النبوية (٥٠٩/١-٥١١) للدكتور صالح الرضا، ومقدمة تحقيق كتاب معرفة النساك في معرفة السواك(ص٢٢-٢٣)، وانظر دراسات طبية في بعض الأحاديث النبوية للبرفسور محمد محمد الشريف (ص٢٦-٢٧) جده- دار الشريف- ١٤١٩هـ.

(١) السواك للدكتور محمد على البار (ص١٥٦-١٥٧) بتصرفٍ يسير، نقلاً عن أبحاث باللغات الأجنبية، منها بحث للأستاذ الدكتور عبدالرحيم محمد(كلية طب الأسنان جامعة الملك سعود بالرياض)، والأستاذ الدكتور جيمس ترنر(كلية الطب بجامعة تينيسي بالولايات المتحدة) والمنشور في مجلة طب الفم والأسنان الاستوائية، وانظر مقدمة تحقيق كتاب معرفة النساك في معرفة السواك، حيث نقل المحقق بحث الدكتور عبدالرحيم محمد عن صحيفة الجزيرة السعودية: (الأحد ٦/رجب١٤٠١، الموافق ١٠مايو سنة ١٩٨١م عدد٢١٩٠) بعنوان: بحث علمي في كلية الأسنان يؤكد أن السواك مضر إذا استخدم أكثر من ٢٤ ساعة. وانظر موسعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، http://www.quran-m.com/firas/arabicold/print_details.php?page=show_det&id=287 .

(٢) انظر السواك للدكتور البار (ص١٥٩-١٦٠)، وفيه ذكر بعض هذه الشركات.

وقد انتهت مجمل دراسات العديد من الباحثين في ذلك إلى أن المسواك يفوق جميع الوسائل والطرق المستعملة لتنظيف الأسنان، فهو منظف آلي يقوم مقام معجون الأسنان، أو المسحوق المنظف، بل أفضل منه، لما يحتويه من مواد مطهرة...ومواد زالقة منظفة، فتدعك وتدلك الأسنان وتجعلها بيضاء لامعة، ولا تخدش أنسجة السن، وهي خير من المواد الرغوية التجارية التي توجد بالمعاجين، **فقد أعلنت مجلة أطباء الأسنان الأمريكية**، أن أغلبية المعاجين المستعملة هناك غير صحية أو طبية... **وأوجز الدكتور السعيد ما ذكره الأطباء في مزايا السواك على الفرشاة في النقاط التالية:**

١- حقوة ألياف السواك وليونتها ومتانتها، مما لا يتوفر في فرشاة الأسنان.
٢- احتواءه على مواد كيميائية ذات فائدة عظيمة للأسنان، مما لا يوجد منه بتاتاً في جميع المعاجين والمحاليل.
٣- دقة أليافه ورقتها بالنسبة للفرشاة الحديثة.
٤- تجديد رأسه باستمرار وبله.
٥- ألياقه غير قابلة للتلوث، لوجود المواد الكيميائية المطهرة.
٦- التحكم في صلابة أو طراوة ألياقه.
٧- وصول ألياقه إلى أماكن ضيقة بين الأسنان.
٨- إمكانية جعل ألياقه ثخينة، أو رفيعة، أو طويلة، أو قصيرة.
٩- أصالة وطبيعة المواد المكونة له، بخلاف إمكانية غش المحاليل ونحوها.

مما تقدم نرى أن المسواك يحتوي على مواد عديدة مفيدة لا توجد بأي معجون أو منظف أسنان(١).

بل صرح الدكتور فارس علوان **بأفضلية السواك على الفرشاة** فقال: ((وللمسواك فوائد عديدة، وميزات كثيرة تجعله يفضل الفرشاة والمعجون ويتفوق عليهما، وذلك للأسباب التالية...)) ثم ذكر اثنا عشر سببا(٢).

وقد قام نخبة من أكبر علماء طب الأسنان في العالم بإجراء بحوث وتجارب كلفت أموالاً طائلة -ولا تزال- حينما حاولوا استخلاص تلك المواد الفعالة الموجودة في السواك ووضعوها في معجون أسنان يسمى Qualimeswaks أنتجته الشركة العالمية السويسرية (فارما بازل ليمتد) وطرح في الأسواق **ولكن وجدوا أنه لا يقوم بنفس ما يقوم به عود الأراك!!** ويرجع السبب في ذلك إلى عدة أمور، فإلى جانب ثراء عود الأراك بالمكونات الكيميائية فهو يحتوي على

---

(١) انظر السواك والعناية بالأسنان (ص١١-١٣) و (٢٠٧-٢١٥) والسواك فوئده في طب الفم والأسنان للدكتور عزت أبو الشعر (ص٤٧-٦٤)، ومقدمة التحقيق لكتاب بغية النساك في أحكام السواك (ص٢٢-٢٤)، ومقدمة التحقيق لكتاب معرفة النساك في معرفة السواك (ص٢٤-٢٦)، وانظر في نفس الموضوع الأعجاز العلمي في السنة النبوية للدكتور صالح الرضا، (١/٥١٢-٥١٣)، وحاشية الدكتور القلعجي على كتاب الطب من الكتاب والسنة (ص٦٣)، وانظر السواك بين الطب والإسلام، http://draldaker.wordpress.com.
(٢) انظر الإعجاز العلمي في السنة النبوية (١/٥١٢-٥١٣)، وانظر الأسباب مفصلة فيه.

عناصر أخرى لا تظهر إلا بعد التفاعل مع لعاب الفم، وكانت المفاجأة حين عثروا في اللعاب على مركبات جديدة لم يسبق التعرف عليها في خلاصة الأراك المعملية، وبعد تجارب تحليلية دقيقة توصلوا إلى أن هذه المركبات الجديدة هي في الأصل من مكونات الأراك الطبيعية ولكنها مقيدة بمركبات أخرى، **فلا يظهر تأثيرها إلا بفعل إنزيمات اللعاب حتى تصول وتجول بين جحافل البكتريا الفموية الضارة فيمكنها القضاء على ٩٧% من أفراد الميكروبات في زمن محدود.** علاوة على الدور العكسي الذي تحدثه إنزيمات اللعاب صوناً للمادة الفعالة الزائدة من الضياع، فإذا زادت عن حاجة الفم وما أن تغيرت حموضة الفم بفعل نشاط الميكروبات حتى ينقلب الحال فتنشط إنزيمات اللعاب ويتحرر جزء من المادة الفعالة التي سرعان ما تبيد البكتريا الضارة بحكمة واقتدار(١).

ومن أشهر وأحدث البحوث العلمية حول مادة الأراك:

ما أجراه الدكتور مشاري بن فرج العتيبي، وبعد مقارنة تأثير سواك أعواد الأراك مع فرشاة الأسنان فيما يخص صحة اللثة والقدرة على إزالة طبقات اللويحة السنية المتواجدة في الشق اللثوي وعلى أسطح الأسنان فقد ظهرت النتائج التالية:

١-وجد أن انخفاض معدلات ومستويات تواجد اللويحة السنية (Dental plaque)، والتي كانت في مرحلة استخدام السواك (عود الأراك) كانت أعلى مما وجد خلال مرحلة فرشاة الأسنان.

٢-كذلك فقد وجد أن انخفاض معدلات ومستويات المقاييس الخاصة بصحة اللثة (Gingivalinflamations)، والتي كانت في مرحلة استعمال السواك كانت تفوق ما وجد خلال مرحلة استعمال فرشاة الأسنان، ولقد كان ذلك الانخفاض واضحاً وبفارق كبير لصالح السواك.

وفي هذا البحث قام الدكتور مشاري أيضاً بدراسة مقارنة حول تأثير استخدام السواك (عود الأراك) وفرشاة الأسنان على عدد من أنواع البكتيريا الفموية المتواجدة ضمن اللويحة اللثوية بالشق اللثوي، وباستخدام تقنية الحامض النووي الوراثي تمت دراسة مدى تأثير استخدام السواك (عود الأراك) على مستويات البكتيريا الفموية **وللمرة الأولى على مستوى العالم.**

ولقد لوحظ أنه بعد نهاية مرحلة استخدام السواك كان المشاركون يحملون عدداً أقل من البكتيريا المسماة Actinobacillus (Actinomycetemcomitan) واختصارها (A.a) إذا ما قورن بالعدد قبل بداية هذه المرحلة، ووجد أن الفارق هنا يعتبر فارقاً إحصائياً حقيقياً ($P<0.05$). وهذه النتيجة تؤكد أن استخدام أعواد السواك تقلل من تواجد هذا النوع من البكتيريا الفموية (A.a) والتي تعتبر من أشرس أنواع الميكروبات، والسبب الرئيسي لعدد كبير من أمراض اللثة والعظم المحيط بها.

(١) انظر السواك بين السنة والطب، أحمد حسين خليل حسن، نقلاً عن موقع: http://www.55a.net/firas/arabic/?page=show_det&id=999 ، وانظر السواك بين الطب والشرع: http://www.jameataleman.org/main/articles.aspx?article_no=1649.

ولقد أثبتت النتائج أن لخلاصة السواك (عود الأراك) تأثيراً قاتلاً على البكتيريا الفموية المسماة Actinobacillus (Actinomycetemcomitan) واختصارها (A.a)، ويقول الدكتور مشاري بن فرج: "وهذه المعلومة تسجل للمرة الأولى على مستوى المعرفة الطبية، **وهذا يعتبر حقاً نطالب بحفظه في المحافل العالمية**، ففي الصحن المحتوي على تلك البكتيريا نجد أن نمو هذه البكتيريا يتوقف كلياً إذا أصبح على بعد ١٠ملم من قطعة عود الأراك المغروسة في منتصف الوسط الحاوي للبكتيريا النامية، وهذا يعني أن نمو هذه البكتيريا قد تأثر بوجود عود الأراك الذي أبطل نموها، أو استطاع أن يعطل عملية النمو التي تقوم بها هذه البكتيريا في الظروف الملائمة لذلك"[(١)].

وجه الأعجاز: كما أن من المعلوم أن الأراك ينمو في الأماكن الحارة والاستوائية ويكثر عادة في أودية الصحاري وكذا في تهامة[(٢)] فلا يستغرب أن يكون هو المتوافر غالباً والمقدم في العصر الأول، لدى الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة، وقد ذهب الجمهور من الفقهاء إلى تفضيل الاستياك به كما تقدم، ولا يزال سواك الأراك هو الأكثر استعمالاً في أنحاء الجزيرة العربية، لاسيما في المملكة العربية السعودية، حتى في الأماكن التي لا ينبت فيها لسهولة نقله إليها، والشاهد مما تقدم، أن هذه الشجرة المفضلة للسواك كما دلت عليه السنة، لها خصائص لا توجد في غيرها كما تقدم، وهذا يؤكد وجه الإعجاز فيما حثنا عليه النبي صلى الله عليه وسلم من التأكيد على استعمال السواك، **وكذا نوع السواك الذي يناسب ويتميز عن غيره في التنظيف ودفع الضرر عن الأسنان والفم.**

---

(١) الإعجاز العلمي للسنة النبوية في أسرار مسواك عود الأراك وتأثيره على صحة الفم ومناعة الخلايا البشرية، د. مشاري بن فرج العتيبي، نقلاً عن موقع:
http://www.nooran.org/con8/Research/46.htm
والسواك بين الشريعة والطب:
http://www.jameataleman.org/main/articles.aspx?article_no=1649.

(٢) انظر السواك للدكتور محمد البار (ص١٤٧).

المطلب الثاني
الصورة الثانية من صور الإعجاز
الحث والتأكيد على تكرار السواك معظم اليوم

فقد جاء في قوله صلى الله عليه وسلم: ((لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة، أو عند كل وضوء))[١]، **وفي هديه في تكرار السواك عدة مرات في اليوم عند كل صلاة**[٢]، **وحين دخول البيت**، فقد قالت عَائِشَةَ رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَانَ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ بَدَأَ بِالسِّوَاكِ»[٣]، **وعند القيام من الليل** فعَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَشُوصُ فَاهُ»[٤] **بل حتى عند الموت:**

فقد أثبت الطب الحديث ضرورة تنظيف الأسنان في اليوم عدة مرات، لإزالة الميكروبات المتتابعة التي سرعان ما تغطي الأسنان.

قال الإمام الحافظ ابن رجب وفي الحديث: "دليلٌ على أن الاستياك سنةٌ في جميع الأوقات، عند إرادة الصلاة وغيرها، فإن استياك النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بهذا السواك كان في مرض موته عند خروج نفسه، ولم يكن قاصداً حينئذ لصلاةٍ ولا تلاوة"[٥].

ما قرره الطب الحديث في سرعة تكون الميكروبات:

فقد تحدث الطب الحديث عن دور اللويحة السنّية(الطلاوة) والبكتريا التي تغطي السن أو عنقه في نخر الأسنان...وذكروا أنه "عندما تستوطن الميكروبات هذه اللويحة وتكوّن مستعمرات فيها تبدأ عملها على بقايا الطعام وخاصة المواد السكرية فتحولها إلى أحماض مثل حامض اللبنيك وحامض الفورميك (النمليك)...وإذا لم يتم إزالة هذه اللويحة السنية بتنظيف الأسنان واللثة فإنها تزداد تكثفاً ولذا ينصح بإزالتها كل أربع ساعات تقريباً، **وهذا ما توفره تعاليم الإسلام في السواك عند كل وضوء وصلاة وعند القيام من النوم وعند قراءة القرآن وعن دخول المنزل**...إلخ"[٦].

ويقول أحد الأطباء: ((مبدأ حفظ صحة الأسنان هو التأكيد على تنظيفها تنظيفاً مستمراً وبخاصة الثلم اللثوي كل أربع ساعات))[٧].

---

(١) تقدم تخريجه ص٧٤.
(٢) تقدم تخريجه ص٧٤.
(٣) صحيح مسلم١/ ٢٢٠، رقم٢٥٣.
(٤) صحيح البخاري١/٣٠٣، رقم ٨٨٩.
(٥) فتح الباري شرح البخاري لابن رجب٨/ ١٢٩، تحقيق محمود شعبان وزملاؤه، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، مكتب تحقيق دار الحرمين – القاهرة، ط الأولى، ١٤١٧ هـ.
(٦) كتاب السواك للبار (ص٨٦-٨٧)، وانظر موسعة الإعجاز في الكتاب والسنة، http://www.ylomonya.com/vb/showthread.php?t=25964
(٧) الوجيز في علم أمراض اللثة وطرق معالجتها (ص٩)ط، الأولى سنة ١٤٠٢ ه، للأستاذ الدكتور عبدالغني ماجد السروجي، وانظر السواك (ص٨٧).

وقد أجرى أحد الأطباء عدة تجارب فوجد أن الجراثيم تعود إلى مستواها الطبيعي في الفم بعد عشرين دقيقة فقط من استعمال معجون الأسنان، وبعد أربع وعشرين ساعة من تكون اللويحة السنّية تظهر أعناق الأسنان ترسّبات رخوة مرئية بالعين المجردة، إذا لم يتم تنظيف الأسنان وتسويكها[١].

وفي أحد البحوث والدراسات الطبية تم فحص أربعمائة وثمانين شخصاً بالغاً (من سن ٣٥إلى سن٤٥) ومجموعة أخرى من سن خمس وستين فما فوق من مدينتي جدة ومكة، وقد وجد الباحثون أن من يستخدمون السواك بانتظام لا يعانون من التهاب محيط السن إلا بنسبة ضئيلة، وهم أقل بكثير ممن لا يستعملون المسواك، وبمقارنتهم بالدول الأخرى فإن استعمال المسواك يوضح مدى الوقاية في صحة الأسنان وصحة الفم نتيجة استخدام المسواك[٢].

وفي بحث آخر جاء فيه ((أن استخدام السواك يقلل من الإصابة بالتهاب اللثة، والتهاب محيط السن، ووجود جيوب صديدية، وكانت المجموعة التي لا تستخدم المسواك ولا الفرشاة والمعجون أكثرها تعرضاً للإصابة، **ويبدوا أن استخدام المسواك ربما كان أفضل من الفرشاة في إزالة اللويحة السنّية والمحافظة على صحة الأسنان والفم**))[٣].

وقد ثبت تكون لويحة جرثومية (Bacterialplaque) تلتصق بالأسنان في غلالة رقيقة من اللعاب التي تسبح فيه، وهذه اللويحة أو الطبقة تتكون سريعاً حتى بعد تلميع الأسنان في أقل من ساعة، ويزداد سمكها ويحدث فيها ترسبات رخوة كلما تركت من غير إزالة.

وقد ثبت أن هذه اللويحة الجرثومية التي تتكون على الأسنان هي المسئولة عن أمراض اللثة ونخر الأسنان، لما تحويه من عدد هائل من الجراثيم؛ إذ يصل عددها داخل هذه اللويحة إلى حوالي مائة بليون جرثومة في الجرام الواحد، وهذا يوضح لنا حكمة حث النبي صلى الله عليه وسلم أمته على دوام استعمال السواك.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ثبت في الصحيح فيما تقدم إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك؛ لأن ركود اللعاب أثناء النوم، أحد العوامل التي تشجع تكاثر الجراثيم وازدياد ترسباتها في هذه اللويحة، كما أن هذه اللويحة ليس لها علاقة بالأكل وفضلات الطعام فهي دائمة التكوين، لذا نفهم الحكمة من ترغيب النبي صلى الله عليه وسلم وحضّه على السواك وملازمته له حتى أثناء الصيام[٤].

---

(١) انظر صحة الفم والأسنان للدكتور السعيد (ص٩٩)، نقلاً عن بحث للدكتور فوزي زريق من جامعة القاهرة، والسواك (ص٨٧).

(٢) بحث للدكتور الخطيب وزملائه نشرته مجلة صحة طب المجتمع للأسنان عام ١٩٩١، باللغة الإنجليزية، انظر كتاب السواك (ص١٤٦) بتصرف يسير، وانظر فوائد متتمة لبحوث السواك: http://www.alukah.net/sharia/0/53389/.

(٣) بحث نشرته مجلة الطبية للدكاترة عيد والشمري وسليم عام ١٩٩٠، باللغة الإنجليزية، انظر السواك للدكتور البار (ص١٤٦).

(٤) انظر: من إعجاز القرآن الكريم والسنة المطهر في الطب الوقائي والكائنات الدقيقة، للدكتور عبد الجواد الصاوي، نقلاً عن موقع: http://www.nooran.org/O/3/3O9.htm.

وهذه اللويحة الجرثومية (طبقة البلاك) في أفواهنا تشتمل على أعداد ميكروبية هائلة تقدر بنحو ٣٠٠ مليون خلية في كل مليجرام، وبالتالي فإنها تعتبر خطراً حقيقياً يزحف على الأسنان، فثمة سلالات بكتيرية من أمثال الاستربتوكوكس واللاكتوباسلس ونحوها لا تزال تطلق أنزيماتها المحللة للبقايا السكرية حتى تحولها إلى سكريات أبسط كالجلوكوز ثم تمضي عاملة عليها بغية تحويلها إلى أحماض عضوية كاللاكتيك والبيروفيك والخليك والبروبيونيك. ولا يخفى ما لهذه الأحماض من قدرة على إذابة الجزء الصلب الملاصق لمينا الأسنان محدثة فجوة تسويس الحامض، وعندها يبدأ سطح السن في التآكل ممهداً لدخول موجات جديدة من البكتريا المحللة إلى أعماق أبدع حتى يصل الهدم إلى منتهاه.

إذاً فميكانيكية التسوس تكمن في تكون البلاك، وبدون البلاك لا يحدث تسوس وعند الرغبة في القضاء على التسوس يجب القضاء على البلاك.

إن اللويحة الجرثومية (طبقة البلاك) هي التي تحتضن ملايين الميكروبات -إن هي أهملت ولم تطرح عاجلاً- فإن ميكروباتها تقتنص الفرصة ولا تزال تتآزر بل تتآمر مع فضلات الطعام التي تنتشر هنا وهناك على سطوح الأسنان حتى تفرخ المؤامرة التهاباً في اللثة، وهذه المواد السامة الناتجة عن الالتهابات لا تلبث أن تقوم بتفتيت الأنسجة الليفية الضامة في اللثة حول الأسنان مكونة بؤراً صديدية عفنة تحت اللثة وفيما بين العظام وجذور الأسنان. وهنا تحدث الكارثة فلا تزال تلك البؤر الصديدية تمتلئ بخليط من صديد ممزوج بخلايا ميتة وميكروبات وفضلات طعام حتى تصاب اللثة باليوريا وتغدو الأسنان عرضة للسقوط.

وإن بكتريا البؤرة الصديدية وسمومها كثيراً ما تتسرب -عبر الدماء- إلى أجهزة الجسم والأعضاء فتصيبها في الصميم. وهناك تقارير علمية حديثة تفيد أن أنواعاً من الجراثيم الفموية مثل بكتريا (بورفيروموناز جينجيا فالس) تستطيع التسرب إلى الشرايين القلبية وإحداث عطب بجدرانها على نحو يوفر الفرصة لانسدادها ولو بعد حين. وتفيد تقارير أخرى أن معظم المصابين بقرح المعدات يوجد بأفواههم عدد هائل من بكتريا (هليوكوباكتربيلوري) وهي نوع مشاغب يستطيع التسرب إلى المعدة والتشبث بجدرانها وإحداث ثقوب دقيقة فيها تتسع شيئاً فشيئاً حتى تتقرح المعدات.

بالإضافة إلى **تقارير أخرى تفيد أن خطر البكتريا الفموية يمكن أن يبلغ الدماغ حيث تنتج إنزيمات تزيد من تراكم الدهنيات بشرايين الرقبة السباتية حتى يقل الإرواء الدموي للخلايا المخية مما يهدد بكارثة في المخ توشك على الوقوع.** ليس هذا فحسب فخطر البكتريا الفموية يمكن أن يمتد إلى العيون والرئتين والى المرارة والجلد والكليتين وإلى مفاصل البدن أيضاً، وتظل آثار البؤرة الصديدية تمتد إلى أجزاء الجسم المختلفة، على أن هذا كله يمكن حظره إذا أزيلت طبقة البلاك التي هي السبب الرئيسي لكل ذلك وبالتالي منع لائحة الأمراض السابق ذكرها من الحدوث[1].

---

(١) السواك بين السنة والطب، أحمد حسين خليل حسن، نقلاً عن موقع: http://www.55a.net/firas/arabic/?page=show_det&id=999.وانظر السواك بين الشريعة والطب:

وجه الأعجاز:

المبالغة في التأكيد على تكرار السواك، والحث عليه، واستحبابه في كل وقت حتى في وقت الصيام ووقت التوقف عن أكل الطعام، والنبي صلى الله عليه وسلم، خشية المشقة على الأمة كاد أن يلزمها بتكرار السواك عند كل صلاة، ومع كل وضوء، ولا يأتي هذا التأكيد والحث المبالغ فيه إلا لحكمة عظيمة، وللسلامة من خطر كبير والله أعلم، وهذا ما أكده العلم الحديث من سرعة تكونك طبقات للجراثيم ولو بدون أكل للطعام، وهذا من الأعجاز الذي دلت عليه سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثالث

الصورة الثالثة من صور الإعجاز

اهتمامه صلى الله عليه وسلم بتسويك اللسان

جاء في الأحاديث اهتمامه صلى الله عليه وسلم بتسويك اللسان ودلكه، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: ((أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فوجدته يستن بسواك بيده يقول: أُعْ أُعْ، والسواك في فيه كأنه يتهوع))(١).

وفي رواية مسلم: ((وطرف السواك على لسانه))(٢).

قال الحافظ ابن حجر في شرح قوله (أع أع):((... ترجع إلى حكاية صوته إذ جعل السواك على طرف لسانه، كما عند مسلم، والمراد: طرفه الداخل كما عند أحمد يستن إلى فوق، ولهذا قال هنا: كأنه يتهوع، والتهوع: التقيؤ، أي له صوت كصوت المقيئ على سبيل المبالغة، **ويستفاد منه: مشروعية السواك على اللسان طولاً، أما الأسنان فالأحب فيها أن تكون عرضاً**، وفيه حديث مرسل عند أبي داود وله شاهد موصول عند العقيلي في الضعفاء، ***وفيه تأكيد السواك وأنه لا يختص بالأسنان...***))(٣).

ما قرره الطب الحديث في أهمية تنظيف اللسان:

وقد ((اهتم الأطباء في الآونة الأخيرة بتنظيف اللسان؛ لما يتراكم عليها من الإفرازات وبقايا الطعام مما يؤدي إلى تجمع الميكروبات، ولذا فإن أهمية تنظيف اللسان تكاد تعدل أهمية تنظيف الأسنان)) (٤).

يلاحظ بالعين المجردة أن اللسان بكامل سطحه العلوي به شقوق واضحة غائرة ولا شك أن هذه الشقوق يلتصق بها الكثير من بقايا فتات الطعام والشراب الدقيقة مما ينتج عنه بعد ذلك تعفنها

.http://www.jameataleman.org/main/articles.aspx?article_no=1649

(١) رواه البخاري في صحيحه (٩٦/١، رقم٢٤١) في الوضوء باب: السواك.
(٢) مسلم بشرح النووي (١٤٤/٣).
(٣) فتح الباري (٤٢٤/١)لأحمد ابن علي بن حجر العسقلاني – تصحيح الشيخ عبدالعزيز بن باز ومحب الدين الخطيب - دار الريان - القاهرة - ط الثانية - ١٤٠٩.
(٤) انظر السواك للدكتور محمد على البار (ص٣٣-٣٤).

وخروج رائحة كريهة. ***وقد ثبت علمياً أن اللسان أخصب مكان في الفم لنمو شتى أنواع البكتريا الضارة من جراء هذا التعفن لاسيما المنطقة الخلفية*** (قاعدة اللسان) لأن المنطقة الأمامية من اللسان تحتكّ دائماً بالأسنان وسقف الفم مما يعمل على تنظيفها من هذه البكتريا بصفة دائمة. كما أن الحليمات الذوقية التي تغلفها شقوقها أقل غوراً وأقل تجعداً بعكس المنطقة الخلفية (قاعدة اللسان) التي تفتقد لهذا وشقوقها أكثر غوراً وتجعداً ولا شك أن هذه البكتريا الضارة تندفع إلى داخل جسم الإنسان مع أي وجبة قادمة وقد تسبب هذه البكتريا بعض التقرحات للسان.

أما كيفية تنظيف اللسان:

فقد ورد في موقع .animated-teeth.comوهو أحد المواقع العلمية المتخصصة في أمراض الفم والأسنان قولهم حول أفضل الطرق لتنظيف وصيانة الفم والأسنان: "هناك طرق متعددة يمكن من خلالها تنظيف المنطقة الخلفية للسان لكن كل منها لها نفس الهدف، هو قشط البكتيريا والأوساخ التي تجمعت على سطح اللسان. عندما تنظف لسانك، ليست المشكلة في الطريقة التي اخترت استعمالها ولكن يجب عليك أن تحاول تنظيف المنطقة الخلفية البعيدة في لسانك. لا تتفاجأ إذا وجدت شعوراً بالغثيان (رغبة في التقيؤ)، إن شعورك بالغثيان هو رد فعل طبيعي سوف يزول مع الوقت"[١].

وجه الإعجاز:

لم يعرف الطب قديماً أهمية لتنظيف اللسان، أو أن لترك تنظيفه خطورة تذكر، وكان التركيز على تنظيف الأسنان ذاتها، ثم جاء الطب الحديث ليبين أهمية تنظيف اللسان وأنه يحتوي على عدد كبير من الجراثيم والتي بدورها تنتقل أيضاً للأسنان، وتتابعت البحوث العلمية الحديثة في عمل دراسات تجريبية للتعمق في ذلك، وما توصلت إليه هذه البحوث من أهمية تنظيف اللسان وخطر التهاون في ذلك، سبق إليه رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم الذي حث على السواك، وكاد أن يفرضه على أمته، وكان ينظف لسانه بالسواك، وينظف المنطقة المتأخرة من اللسان، والتي تتركز فيها الميكروبات وتسبب الرائحة للفم، وكل ذلك من الإعجاز العلمي النبوي للسواك.

(١) الهدي النبوي في تسويك اللسان، لطارق عبده أسماعيل:
.http://quran-m.com/container2.php?fun=artview&id=1119
وانظر السواك بين الطب والشرع:
.http://www.jameataleman.org/main/articles.aspx?article_no=1649

المطلب الرابع

الصورة الرابعة من صور الإعجاز في سنية غسل السواك أو تطيبه باللعاب

فقد جاء في السنة استحباب غسل السواك قبل استعماله، وكذا جعله عند كل وضوء؛ ليحصل كمال التنظّف، من ذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها:

((دخل عبد الرحمن بن أبي بكر على النبي -صلى الله عليه وسلم- وأنا مسندته إلى صدري ومع عبد الرحمن سواك رطب يستن به، فأبدّه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بصره، **فأخذت السواك فقضمته ونفضته وطيبته ثم دفعته إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، فاستن به**، فما رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- استن استناناً قط أحسن منه، فما عدا أن فرغ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رفع يده أو إصبعه ثم قال: في الرفيق الأعلى ثلاثاً ثم قضى، وكانت تقول مات بين حاقنتي وذاقنتي))(١).

وفي لفظ آخر للبخاري:((فَقَصَمْتُهُ، ثُمَّ مَضَغْتُهُ فَأَعْطَيْتُهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَنَّ بِهِ وَهُوَ مستند إِلَى صَدْرِي))(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت:((كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يستاك فيعطيني السواك لأغسله، فأبدأ به فاستاك، ثم أغسله وأدفعه إليه))(٣).

وأيضاً حديث ((لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء))(٤).

وحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بهم وهم يجتنون أراكاً، فأعطاه رجل جني أراك، فقال: **لو كنت متوضأً أكلته**))(٥).

قال النووي في شرحه لحديث عائشة في سنن أبي داود: "فيه استحباب غسله"(٦).

قال الحافظ ابن حجر: "قَوْلُهُ ثُمَّ لَيَّنْتُهُ ثُمَّ طَيَّبْتُهُ أَيْ بِالْمَاءِ وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ طَيَّبْتُهُ تَأْكِيدًا لِلَيَّنْتُهُ، وَسَيَأْتِي مِنْ رِوَايَةِ ذَكْوَانَ عَنْ عَائِشَةَ فَقُلْتُ: آخُذُهُ لَكَ؟ فَأَوْمَأَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ فَتَنَاوَلْتُهُ فَأَدْخَلْتُهُ فِي فِيهِ فَاشْتَدَّ فَتَنَاوَلْتُهُ فَقُلْتُ: أُلَيِّنُهُ لَكَ فَأَوْمَأَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ"(٧).

ما يقوله الطب الحديث في بلّ السواك:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ١٦١٣، برقم: ٤١٧٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه٥/٢، رقم٨٩٠.

(٣) رواه أبو داود في سننه (١٤/١، رقم٥٢)، من طريق عنبسة عن كثير عن عائشة به، ورواه من طريق أبي داود البيهقي في الكبرى (٣٩/١، رقم١٦٨)، ورجال إسناده ثقات إلا كثير بن عبيد التيمي مولى أبي بكر الصديق ورضيع عائشة رضي الله عنها، روى عنها وعن أبي هريرة وزيد وأسماء بن ابي بكر، وعنه ابنه عنبسة وغيره، ليس فيه جرح ولا تعديل، وقال عنه ابن حجر في التقريب: (مقبول)، وذكره ابن حبان في الثقات، فهو أحد التابعين المستورين وعندي أن **هذا الحديث حسن الإسناد**. انظر التقريب (رقم٥٦١٩) والتهذيب(٤٦٣/٣).

(٤) تقدم تخريجه ص٨٧.

(٥) تقدم تخريجه ص٨٠.

(٦) الإيجاز في شرح سنن أبي داود للنووي ص٢٢٧، الدار الأثرية، عمان.

(٧) فتح الباري لابن حجر٨/ ١٣٩.

لبلّ السواك وغسله بالماء حكمة عجيبة وهي: حل المادة المركبة والمقاومة للجراثيم، وفي استعماله جافاً يؤدي إلى تآكل أنسجة الأسنان الصلبة[1].

واستمع إلى ما قاله أحد علماء الطب ومدير معهد الجراثيم والأوبئة في أحد الجامعات الألمانية في مقال له في بعض المجلات حول بلّ المسواك قبل استعماله وقطعه بعد فترة يقول: "إن هناك حكمة كبيرة في استعمال العرب للمسواك بعد بله بالماء؛ لأن استعماله جافاً لا ينجع؛ لما يحويه من مادة مضادة للجراثيم، أما الحكمة الأخرى فهي في تغيير المسواك من حين لآخر؛ لأنه يفقد مادته الهامة، المقاومة للجراثيم بطول الاستعمال"[2].

وقد حاولت بعض الشركات العالمية استخلاص تلك المواد الفعالة الموجودة في السواك ووضعوها في معجون الأسنان، **لكن وجدوا أنه لا يقوم بنفس ما يقوم به عود الأراك!!** ويرجع السبب في ذلك إلى عدة أمور، فإلى جانب ثراء عود الأراك بالمكونات الكيميائية فهو يحتوي على عناصر أخرى ***لا تظهر إلا بعد التفاعل مع لعاب الفم***، وكانت المفاجأة حين عثروا في اللعاب على مركبات جديدة لم يسبق التعرف عليها في خلاصة الأراك المعملية، وبعد تجارب تحليلية دقيقة توصلوا إلى أن هذه المركبات الجديدة هي في الأصل من مكونات الأراك الطبيعية ولكنها مقيدة بمركبات أخرى، **فلا يظهر تأثيرها إلا بفعل إنزيمات اللعاب حتى تصول وتجول بين جحافل البكتريا الفموية الضارة فيمكنها القضاء على ٩٧% من أفراد الميكروبات في زمن محدود.** علاوة على الدور العكسي الذي تحدثه إنزيمات اللعاب صوناً للمادة الفعالة الزائدة من الضياع، فإذا زادت عن حاجة الفم وما أن تغيرت حموضة الفم بفعل نشاط الميكروبات حتى ينقلب الحال **فتنشط إنزيمات اللعاب ويتحرر جزء من المادة الفعالة التي سرعان ما تبيد البكتريا الضارة بحكمة واقتدار**[3].

وجه الإعجاز:

أن من السنة تطيب السواك بالماء، أو تطييه باللعاب قبل دفعه خاصة مع من لا يعافه كما بين الزوج والزوجة، أو تناوله مع الوضوء. وخلط السواك بالماء، وكذا اختلاطه باللعاب يكسبه نوعاً من التفاعل لمقاومة الميكروبات بشكل لا يتصوره الإنسان، وهذا ما اكتشفه العلم الحديث مؤخراً، وأشارت له السنة النبوية في العصر الأول، وهو من إشارات الإعجازي النبوي للسواك.

---

(١) انظر مقدمة تحقيق كتاب بغية النساك في أحكام السواك (ص١٤)، وانظر الإعجاز العلمي في السنة (٥١٣/١) الفقرة (١٢)، فيما نقله عن بحث الدكتور فارس علوان.

(٢) السواك والعناية بالسنان للدكتور السعيد (ص٨٥)، وانظر الإعجاز العلمي في السنة (٥١٣/١)، ومقدمة بغية النساك (ص١٣).

(٣) انظر السواك بين السنة والطب، أحمد حسين خليل حسن، نقلاً عن موقع: http://www.55a.net/firas/arabic/?page=show_det&id=999، وانظر السواك بين الشريعة والطب: http://www.jameataleman.org/main/articles.aspx?article_no=1649 .

الخاتمة

في ختام هذا البحث نخلص إلى هذه النتائج:

١- حاولت جاهداً تحرير ما يتعلق بالتعريف المناسب للإعجاز، بما يناسب التعريف الجاري عليه للمعجزة ودلائل النبوة عند أهل السنة والجماعة، والجواب عن خطأ بعض محترزات التعاريف التي وردت في بعض كتب الإعجاز في السنة النبوية.

٢- عرفّت السواك في اللغة والاصطلاح، وذكرت حكمه لدى الفقهاء، وأنه سنة مؤكدة لا واجب، وتشكيك العلماء في صحة ما نسب لبعض العلماء من القول بوجوبه.

٣- ذكرت أشهر الأحاديث الصحيحة في فضل السواك والترغيب فيه.

٤- حاولت استخراج بعض الإشارات الإعجازية التي تظهر للمتأمل في أحاديث السواك، والتي قد نستفيد بعضها، من كلام بعض الشراح.

٥- يعد السواك والحث عليه من السنن المؤكدة، التي كادت أن يوجبها الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد ورد في فضائل السواك أكثر من مائة حديث كما ذكر العلماء، وما ذلك إلا لأهميته في الشريعة.

٦- عناية الشرع الحنيف بصحة أعضاء الإنسان، لا سيما الأسنان هنا، والإرشاد لطرق الوقاية من تضررها.

٧- أن وراء هذا الحث وإثارة الأهمية نحو السواك أسرار صحية عجيبة، تبين حكمة ما يشرعه الله للناس، وما يسنه نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم لأمته.

٨- ذكرت أربع صور من صور الإعجاز من خلال أحاديث السواك، وربطتها بما ثبت في الطب الحديث من بحوث وتجارب، وأسهبت في الصورة الأولى لأهميتها، وهي ما يتعلق بسواك الأراك وما توصل له العلم الحديث في فوائد وعجائب هذه المادة.

٩- نقلت ما يدل من البحوث على تفوق السواك ومادته على الفرشاة والمعجون من نواحي عديدة، وأن الفرشاة والمعجون لها سلبيات طبية، والسواك هو الوحيد الذي ليس فيه سلبيات طبية.

التوصيات

١- اقترح عمل توعية وقائية من قبل وزارة الصحة بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم والجامعات والوزرات للتوعية بأهمية السواك وفضله، وأثره من في علاج مشاكل التسوس التي تعاني منها المملكة بشدة، وذلك عبر جولات لفريق طبي توعوي يقوم بالمهمة بشكل مهني وراق.

٢- تشجيع وتطوير بيع السواك وتصنيعه وتسهيل توزيعه بكثرة، في أمكان العمل وعند المساجد وفي المدارس والجامعات، وتخصيص كشكات لذلك.

٣- تشجيع زراعة شجر المسواك وتسهيل جنيه للمستثمرين لنشر هذه السنة العلاجية الوقائية.

٤- إن كثيراً من المسلمين الآن وللأسف اتجهوا نحو الماديات بشكل كبير ومخيف، لاسيما مع انفتاح العالم إعلامياً وتقنياً، كما حصل هنالك شعور بضعف اليقين لدى بعض الشباب بدينهم

وعقيدتهم وحضارتهم الإسلامية، ومثل هذا النوع من البحوث يجمع بين أمرين، فيزيد الشاب والمسلم يقيناً بدينه ونبيه صلى الله عليه وسلم، ويوفر له شعور بالاعتزاز والفخر لما توصل له دينه من الحث على قضايا طبية وقائية أثبت العلم الحديث فعاليتها الخارقة، ويكون لديه مادة للنقاش والمحاجة بل ودعوة غير المسلمين للإسلام.

٥- إن تناول مثل هذه المادة العلمية الغنية يعيش في نوع من الانفصام، حيث يقوم المتخصصون الشرعيون والمحدثون بتناول فضائل السواك في السنة والشريعة على حدة، بينما يتناول الباحثون من الصيادلة والأطباء السواك من الناحية العلمية والمخبرية وعجائب هذه المادة، مع إشارتهم إلى فضل السواك في السنة، ***بينما الأمر يتعدى ذلك إلى ضرورة الجمع*** بين تفاصيل الإشارات النبوية للسواك وفضله والحث والتأكيد على استعماله، مع تحديد أوقات وأماكن وطريقة استعماله، **وهذه تحتاج لمتخصص شرعي،** لديه اطلاع ونفس طويل في النظر في الأبحاث العلمية القديمة والحديثة، وربط الجانبين ربطاً متيناً وهادفاً.

٦- إن أكثر من يخوض في الإعجاز العلمي هم من غير المتخصصين شرعياً، ولذا يقعون في أخطاء فادحة أحياناً في الفهم وتفسير النصوص ولي أعناقها؛ لتحقيق إعجازاً بناء على بعض الاكتشافات العلمية، وهذا يتطلب انبراء أكاديميين مختصين للعناية بهذا الجانب لوضع الأشياء في مسارها الصحيح، ومساعدة الباحثين العلميين والأطباء في بحوثهم الثرية في هذا الجانب.

٧- مشكلة تسوس الأسنان في المملكة تمثل مشكلة كبيرة للغاية! حيث لم تف ولم تغط المراكز الحكومية الحاجة الكبيرة لعلاج حالات التسوس، مما أدى إلى انتشار مراكز الأسنان وزراعتها الأهلية التجارية مع ضعف الجودة، واستنزاف أموال الناس في معالجة أسرهم مع استمرار مشكلة التسوس، على حد قولهم: مصائب قوم عند قوم فوائد!! كل ذلك يعود لإهمال الجانب الوقائي والتوعوي الذي جاءت به السنة، بأقل تكلفة وإيجاد البدائل الناجعة، ومن ذلك نشر سنة السواك، حيث أثبتت الدراسات العلمية وصُرح بذلك في مؤتمرات كبرى أن السواك بعود الأراك هو الوحيد الذي ليس له أي مضاعفات جانبية مقارنة بفرشاة الأسنان!! بل إن فترت مقاومات مادة الأراك للميكروبات تفوق المعاجين الخاصة بتنظيف الأسنان! وقد تبقى لساعات أطول.

٨- اقترح فتح مراكز علمية بحثية طبية تعتمد على دراسة ما ورد في الكتاب والسنة من أشفية وأطعمة ذات نفع وشفاء، وتخرج بأبحاث نافعة للمسلمين، وللعالم أجمع تدل على إعجاز المصدرين التشريعين لدى المسلمين.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يتقبل منا صالح أعمالنا، وأن يوفقنا للعلم النافع والعمل الصالح وبالله التوفيق، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

فهرس المصادر والمراجع

١- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد - الدكتور صالح الفوزان- دار ابن خزيمة - ط ثانية- ١٤١٧.
٢- إرواء الغليل – المحدث محمد ناصر الدين الألباني- المكتب الإسلامي - بيروت- ط ثالثة- ١٤٠٥.
٣- الإعجاز العلمي في السنة النبوية، الدكتور صالح الرضا، مكتبة العبيكان - ط أولى، ١٤٢١.
٤- الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوبطه، الدكتور عبدالله المصلح، هيئة الإعجاز العلمي، دار جياد، ط ثالثة، ١٤٣٢هـ.
٥- الإيجاز في شرح سنن أبي داود السجستاني، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، علق عليه وخرج أحاديثه: أبو عبيدة مشهور بن حسن، الدار الأثرية، عمان – الأردن، ط الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
٦- استعمال السواك لنظافة الفم وصحته- الدكتور محمد رجائي المصطيهي - أعمال المؤتمر الأول للطب الإسلامي- الكويت- ١٤٠١.
٧- بغية النساك في أحكام السواك- محمد بن أحمد السفاريني- تحقيق عبدالعزيز ابن إبراهيم الدخيل- دار الصميعي- ط أولى- ١٤٢٠.
٨- تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، الشيخ عبدالمجيد الزنداني وزملاؤه، رابطة العالم الإسلامي، ط ثانية، ١٤٢١هـ.
٩- تقريب التهذيب- الحافظ أحمد بن علي بن حجر- تحقيق محمد عوامة - دار ابن حزم- بيروت- ط أولى- ١٤٢٠.
١٠- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير- ابن حجر العسقلاني - تحقيق عبدالله هاشم اليماني- دار المعرفة- بيروت.
١١- تهذيب التهذيب- للحافظ أحمد بن علي بن حجر- باعتناء إبراهيم الزيبق - وعادل مرشد- مؤسسة الرسالة- ط أولى – ١٤١٦.
١٢- جامع العلوم والحكم- للحافظ ابن رجب عبدالرحمن بن شهاب الدين – تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم برجس- مؤسسة الرسالة- بيروت - ط الثالثة- ١٤١٢.
١٣- حاشية الروض المربع- عبدالرحمن بن قاسم- بدون ذكر للدار- ط رابعة - ١٤١٠.
١٤- دراسات طبية في بعض الأحاديث النبوية- الدكتور البورفسور محمود محمد الشريف- جده- دار الشريف- ١٤١٩.
١٥- زاد المعاد- محمد بن أبي بكر الزرعي ابن قيم الجوزية- تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعبدالقادر الأرنؤوط- مؤسسة الرسالة- ط ثالثة- ١٤٠٩.
١٦- سبل السلام شرح بلوغ المرام- محمد بن إسماعيل الصنعاني- تحقيق محمد محرز سلامة وزملاؤه- مطبعة جامعة الإمام- ط الرابعة- ١٤٠٨.
١٧- سنن البيهقي الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي - دار الفكر - بيروت.

١٨- السواك- الدكتور محمد على البار- دار المنارة – جده- ط أولى، ١٤١٤.
١٩- السواك والعناية بالإسنان- الدار السعودية- جده- ط أولى- ١٤٠٢.
٢٠- الشرح الممتع على زاد المستقنع- الشيخ محمد صالح العثيمين- مؤسسة آسام- ط أولى- ١٤١٤.
٢١- صحة الفم والأسنان، الدكتور عبدالله عبدالرزاق السعيد- مكتبة المنار الزرقاء- الأردن- ١٤٠٢.
٢٢- صحيح البخاري (الجامع الصحيح)، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري - تحقيق الدكتور مصطفى ديب البُغا - دار ابن كثير - ط الخامسة - ١٤١٤هـ.
٢٣- صحيح ابن خزيمة، تحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي - المكتب الإسلامي - بيروت - ط ثانية - ١٤١٢هـ.
٢٤- صحيح مسلم بشرح الإمام النووي - مؤسسة الكتب الثقافية - ودار الكتب العلمية - بيروت.
٢٥- الطب من الكتاب والسنة- موفق الدين عبداللطيف البغدادي- تحقيق الدكتور عبدالمعطي أمين قلعجي- دار المعرفة- بيروت- ط ثالثة- ١٤١٤.
٢٦- الطبقات الكبرى، لأبي عبدالله محمد بن سعد بن منيع الزهري - تقديم إحسان عباس - دار صادر - بيروت - ١٣٨٠هـ.
٢٧- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن رجب الحنبلي، تحقيق محمود شعبان وزملاؤه، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، مكتب تحقيق دار الحرمين – القاهرة، ط الأولى، ١٤١٧ هـ.
٢٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني - لأحمد ابن علي بن حجر العسقلاني – تصحيح الشيخ عبدالعزيز بن باز ومحب الدين الخطيب - دار الريان - القاهرة - ط الثانية - ١٤٠٩.
٢٩- القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي - تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ثانية – ١٤٠٧هـ.
٣٠- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور - دار صادر- بيروت - ط أولى.
٣١- مجمع الزوائد- نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي- دار الكتاب- بيروت- ط ثالثة- ١٤٠٢.
٣٢- المجموع شرح المهذب- لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي- دار الفكر- بيروت.
٣٣- مسند الإمام أحمد بن حنبل - تحقيق جماعة بإشراف الدكتور سمير طه المجذوب - المكتب الإسلامي - بيروت - ط أولى - ١٤١٣هـ.
٣٤- مسند الطيالسي- سليمان بن داود الطيالسي- دار المعرفة- بيروت.
٣٥- المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني - تحقيق حمدي السلفي - الدار العربية، ومطبعة الأمة - بغداد - ١٩٧٨م.
٣٦- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا - تحقيق عبدالسلام هارون - دار الجيل - بيروت - ط الأولى - ١٤١١هـ.

٣٧- معرفة النساك في معرفة السواك- ملا علي قاري- تحقيق نظر محمد الفريابي- دار الراية- الرياض- ط أولى- ١٤١٠.
٣٨- نيل الأوطار- محمد بن علي الشوكاني- تعليق عصام الدين الصبابطي، دار الحديث- ط أولى-١٤١٣.
٣٩- الوجيز في علم أمراض اللثة وطرائق معالجتها: أطلس أمراض اللثة، ط، الأولى سنة ١٤٠٢ هـ.